



إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ



تَفْسِير

الْقِيَامَةِ وَالْإِنْسَانِ وَالْمُرْسَلَاتِ

الْمَيْسِر



- عنوان الكتاب: بذور الرشد، تفسير: القيامة والإنسان والمرسلات
- اسم المؤلف: د. محمد باباعمي
- الطبعة الأولى: 1443 هـ - 2021 م
- مقاس الكتاب: 125 × 190
- عدد الصفحات: 168
- ردمك: 1-15-735-9931-978 ISBN
- الإيداع القانوني: السادس الثاني، 2021.

محموظة
جميع حقوق

Copyright © 2021 Kitabook



Kitabook.net





تفسیر

القیامتہ والانسان والمسلات

المیستر

محمد باباعمی



بنية العمل

لا يعينني في شيء أن أفسّر القرآن الكريم، فقد فسّره علماء كرام؛
ولكنني أحيا به ومعهم، ثم أتخذُه منطلقا لفكري، وصبغة لفعلي...
في رحلة العمر، وقد جاوزت الخمسين حِجّة؛
وهي مرحلة لا أرجو معها ولا بعدها إلا معية الله **جَلَّ جَلَالُهُ**،
وصحبة كلامه، وكنف رحمته ورضاه؛
أسأله سبحانه صلاح أمر أمّتي، وأن يفرج عنها،
ويظهر دينه على سائر الأديان،
وأدعوه أن يصحح بكلامه الحكيم انحراف البشرية
الفكري والثقافي والحضاري،
وأن يسخرنا في إطار «نموذج الرشـد»،
وبالاستعانة بـ«بذور الرشـد»، لهذا السبيل،
أشهدُ الله أن ليس لي في الدنيا أمنية، إلا أن يجتمع عدد من العلماء،
فيجتهدون في علوم القرآن والتفسير، وعلوم المعنى والتنزيل؛ بعقل
جمعيّ، داخل مراكز بحثية دائمة؛ تنفق فيها أموال أثرياء الأمة،
وتسخر لها سلطة تحميها، وتجند لها سواعد وعقول
خيرة علماء هذه الأمة...
لنحقق بذلك نقلة حضارية توحيدية، نبتغي ذخرها عند الله تعالى
وما بين يدي القارئ الحبيب هو صورة لهذا المعنى،
وهو ظل لتلك النية، في انتظار تحقيق المطلوب، وبلوغ المرغوب
اللهمّ فاشهد، وبلغ المقصود



فريق العمل

- الأمانة والتنسيق: أ. جابر ناصر بوحجّام
- الإشراف الفني: أ. جابير باباعمي
- التصميم والتنفيذ الفني: أ. ياسين بوشارب
- متابعة النشر والطباعة: أ. محمد الحاج سعيد
- المراجعون: د. بشير قادرة
- د. حمو الشيهاني
- د. جابر ناصر بوحجّام
- تدقيق الآيات: أ. فتحية دادة



مقاصد تفسير الرشاد

- تحبيب كلام الله تعالى للناس بعامة، وللناشئة والشباب بخاصة.
- عرض التفسير في صورة غير منفرة لمن لم يألّف مطالعة المجلدات.
- الوصول بكلام الله تعالى في حياتنا اليومية إلى حال التمثّل والتناغم، بعيدا عن حال التكلف والانفصام.
- الخروج من دائرة الاختلاف في الأصول وتخطئة الآخر؛ إلى سعة المعاني المتفق عليها، والتي تمثل أصل الدين ولبه؛ مع اعتبار الأوجه التي تؤشر إلى رحابة الدين، والتي تمثل الفروع، الجائز الاختلاف فيها.
- اعتماد مصادر التفسير كلّها: من سنة نبوية، وآثار عن الصحابة، وأقوال للتابعين، وتفسير من بعدهم عبر القرون؛ بعيدا عن جفاء القطيعة.
- الإسهام في تحذير الناس من الجرأة على كلام الله، والتقول على الله تعالى بما لم يقل.
- اعتبار اللغة مصدرا أساسا لفهم الآية القرآنية؛ لكنه غير كافٍ لوحده.

- توظيف الجملة وحدة معيارية للفهم بديلا عن النص المسترسل الطويل؛ وذلك استفادة من منهج القرآن الكريم في اتخاذه الآية وحدة معيارية لبنية المعنى.
- استشارة العمل بعد فهم الآية القرآنية، ذلك أن الغرض من كلام الله تعالى هو «الامتثال والتمثل» لا مجرد الحفظ والأداء والفهم.
- الدعوة إلى أعمال العقل الجماعي في إنجاز مشاريع لا حصر لها، من مداخل معرفية متجاوزة للتخصص، في فهم كلام الله تعالى.
- الدفاع عن الفهم المطيافي، الذي أسسنا له منذ عقدين من الزمان «المبني على اعتماد الموشور المعرفي، المكوّن من عقول متباينة، وتخصّصات مختلفة، وحالات ونماذج معرفية متعددة... للوصول إلى فهم ديناميكي حركي للآية القرآنية».
- تحريك مراحل تحويل المعلومة إلى سلوك، من خلال بذور الرشد: السؤال، الافتراض، الرؤية الكونية، القاعدة الكلية، الصورة الإدراكية، مخطط الفعل، الفعل الحضاري.



مقدّمة

العالم اليوم، والبارحة، وغداً... يفورُ ويمورُ ويثورُ؛ تتعالى فيه أصوات الشرِّ، وتخفت أصوات الخير؛ الظلمُ متحكّم في المكان والزمان، والقهر هو القاعدة التي تساس بها البلاد والأوطان؛ ولو أطلق الإنسان نفسه للسوداوية والتشاؤم لانتهى به المطاف إلى «خرقة بالية» تتلاعب بها ألسنة النيران، أو إلى «ورقة جافة» تصارع القدرَ لتستقرَّ على حالٍ، ولكن هيهات، ولات حين مناصٍ.

والفرقُ بين ظلم اليوم وظلم البارحة، بين قهر اليوم وقهر البارحة؛ هو أنّ الأنظمة العالمية والوطنية والمحلية اليوم هي التي تقنّنه وتمنحه صفة الشرعية؛ فيتّم الاغتيال باسم الحرية، والاستعمارُ باسم التنوير، والإبادةُ باسم الدفاع عن السيادة... ولا ريب أنّ الإنسان حين قرّر طواعية أن يقتل الإله، وأن ينظف مكان الجريمة، وأن يعتلي عرش الكون، ويعلنها صريحة: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾؛ حينها فقط بدأت أوضاع البشرية تتردّى، وانتهت إلى ما انتهت إليه من فسادٍ كبيرٍ، وخرابٍ مريّرٍ.

قُتل في الحرب العالمية الثانية ما يقارب ستين مليوناً من البشر، وهم يمثلون 2.5% من سكان المعمورة؛ وقُتل خلال حرب التحرير الجزائرية على فرنسا المستعمرة أكثر من مليون

ونصف المليون من البشر، وهو ما يمثل يومها أكثر من عشر سكان الجزائر... ولا يمكن أن نغفل ما كان من إبادة جماعية في بلاد كثيرة، بسبب الأيديولوجيات والانتماءات، والمصالح والمطامع؛ بدايةً بدول الشرق الشيوعي، وانتهاء بحروب الغرب الاستعماري.

غير أن ما هو أسوأ من الحرب العالمية، ما عشناه جميعاً في العامين الفارطين، من «سجن الناس» تحت عنوان «الحرب البيولوجية»؛ حتى غدوا رهائن قيد الحبس الجبري: في بيوتهم ومنازلهم، في قراهم ومدنهم، في بلادهم وأوطانهم... ولقد تقبلوا ذلك بصدرٍ رحبٍ؛ قلَّ منهم من احتجَّ بشجاعة، وحاول فضح ما وقع بصبرٍ.

ولما توصلت الشركات الكبرى إلى صناعة اللقاح؛ عوض أن يضعوه - إن كان حقاً ناجعاً ومانعاً من كثرة الوفيات - بين يدي البشرية مجاناً؛ راحوا في صلفٍ وكبرياء يصنّفون العالم إلى «عالمٍ أوّل» له الحق في كلّ أشكال الرعاية والدواء؛ و«عالمٍ ثانٍ» لأشباه البشر، لا حقّ لهم في ذلك إلاّ بقدر ما يوفّرون من مالٍ، ويشترون من جرعات غالية، ويتقبلون من «موجات متعاقبة»...

ولا ريب أن القيم التي جاء بها الوحي؛ وأنّ المعاني التي ترشح بها آيات القرآن الكريم؛ وما مثله رسول الله ﷺ وخلفاؤه

من بعده واقعاً؛ كلُّ ذلك غابَ عن العالم اليوم؛ ولقد حوّلوه إلى «منطقة محرّمة»، وإلى «تهمة لاصقة»؛ باسم الإرهاب، والرجعية، والتخلف، والهمجية...

غير أنّ المعضلة الكبرى ليست فقط في «السبب الخارجي»، وإنما في «السبب الداخلي»؛ ذلك أنّ المسلم نفسه، حوّل كلام الله تعالى إلى طقوسٍ فاقدة للحرارة، وإلى ترنيمات تبدأ وتنتهي في المستوى اللفظي؛ ولم يجد حاجةً ولا ضرورةً إلى تحويل معاني تلك الآيات إلى «حياة»، وإلى «واقع»، وإلى «قوة»، وإلى «حضارة»... فضاع الحقُّ بين غرب متعطرٍ، وشرق ناعسٍ.

يقول الرئيس علي عزت بيجوفيتش في كتابه «هروبي إلى الحرية»: «لقد بقينا حتى الآن نتحدّث عن الخسائر والهزائم التي ألحقها بنا الآخرون؛ وحن الوقتُ لأن نبدأ الحديث عن الخسائر والهزائم التي ألحقناها بأنفسنا؛ وستكون هذه بدايةً رشدنا».

ولن يتمّ لنا ذلك إلاّ إذا استنطقنا معاني كلام ربنا؛ وهي في السور الثلاث التي بين أيدينا «واضحّة بينة»: فسورة القيامة، وسورة الإنسان، وسورة المرسلات؛ تتكاثف على حقيقةٍ واحدة، وهي أنّ الإنسان لم يُخلق عبثاً، وأنّ له ربّاً، وأنّ الله تعالى سيحاسبه يوم القيامة: إن كان صالحاً فالى الجنّة خالداً فيها أبداً، وإن كان طالِحاً فالى النار خالداً فيها أبداً.

فسورة القيامة؛ عالجت حقيقة اليوم الآخر؛ وتعرّضت لجملة من العلامات التي تقوم بها الساعة؛ وأرّخت للإنسان في شتى مراحل وجوده: من مرحلة النطفة إلى أن يحمّل المسؤولية ويتحمّلها بسبب الحرية التي ميزه الله تعالى بها عن سائر خلقه؛ ومن رحمة الله تعالى أنّ الإنسان لم يُخلق عبثاً، ولم يترك لنفسه هملاً؛ وإنما أرسل إليه رسول صادق أمين، وجاء معه بقرآن حكيم متين؛ فمن أخذ بما جاء به الوحي والرسول من الله تعالى نجا في الدنيا، وسعد يوم القيامة؛ ومن آثر الكفر والجحود، هلك في الأولى والآخرة. والإنسان لو أصاخ أذنه، ولو ألقى السمع، لاعتبر بقول الله تعالى: ﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؟!.

أما سورة الإنسان؛ فتبدأ بتذكير الإنسان أنه كان في العدم، ولم يكن شيئاً مذكوراً؛ ثم خلقه الله أطواراً؛ وأودع فيه من الخصائص ما جعله أفضل الخلق وأكرمهم جميعاً؛ ثم أنزل عليه الهداية والحق، ففترّق صنفين: مؤمنٌ وكافرٌ، شقيٌّ وسعيدٌ. وهنالك يوم القيامة يلتحق المؤمن بالجنة التي وُصفت له وصفاً بديعاً؛ أمّا الكافر فمآله النار التي يتقلب فيها أبداً. والله جلّ شأنه ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. ولئن كان للفلاسفة آراء ونظريات في حقيقة الإنسان، وفي مراحل تطوّره ونموه، وفي مآله ومصيره؛ فإنّ ما جاء به القرآن، وما ورد في سورة الإنسان؛ ليس مجرد نظرية فلسفية، ولا هو حقيقة

علمية، ولا رأي صائب؛ إنما هي حقيقة كونية من الله تعالى قد يدرکہا عقل الإنسان وقد لا يدرکہا؛ لکنہا تبقى متجاوزة لجميع المعارف، والعقول، والتصورات، والآراء، والنظريات.

وسورة المرسلات؛ استهلّت بالقسم؛ إمّا بالملائكة أم بالرياح؛ لکنه قسم من ربّ عظیم في أمر عظیم؛ والغاية هو جواب القسم، وهو الحقيقة الربانية المطلقة: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾؛ ذلك أنّ الكون سيعرف تقلّبات وفسادا حين تدقّ ساعة القيامة، ويوم يُنفخ في الصور؛ وينادي الإنسان من عالم العمل إلى عالم الحساب، من عالم الفناء إلى عالم الخلود؛ فسيكون الكافر يومها في ويل وثبور، وسيكون المؤمن في نعمة وحبور؛ وسيتذكّر الناس كلهم أنّ هذا اليوم هو «يوم الفصل»؛ وبأنّ ما صار عيانا في هذا اليوم العصيب، كان وصفاً وخبراً صادقاً في كتاب الله تعالى، يوم كانوا أحرارا أن يؤمنوا به أو لا يؤمنوا؛ وصيغة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تتكرّر في السورة تسع مرّات، وفيها تحذيرٌ شديدٌ اللهجة، وإنذارٌ مديد الوقع؛ لعلّ ثلّة من الناس تستمع، وتستفيق، ثم تهتدي؛ فتنجو من هذا الويل بتركها التّكذيب، وتشبثها بالحق المبين، وبالحدِيث المكين: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

لو أنّ هذه المعاني اتّخذت قاعدةً للتربية الأسرية، وتغلّغت في المقرّرات التربوية، وكانت روحاً للقوانين الحُكّمية،

واصطبغت بها القنوات الإعلامية، وتقبّلتها الجامعات ومراكز البحث، وعملت بها البرلمانات والحكومات، ونافحت عنها المؤسسات والمحافل الدولية... إذن لكان للعالم وللبشرية شأنٌ آخر.

وتبقى الحيرة في حقّ المسلم الذي يتلو هذه السور، ويصلي بها فرضه ونفله، ويتبرّك بها تجويداً في أروع المناسبات، ويعلقها براويز في أفخم القاعات؛ ثم هو يخالفها في فكره وفعله، ويستبدل بها غيرها في حكمه وشرعته؛ ولا يجد في ذلك حرجاً، ولا تناقضاً؟

ومن استطاع أن يجيب على هذا السؤال، ويحلّ هذا الإشكال؛ فعلاً لا قولاً، واقعاً لا خطابة؛ فإنه سيكون جديراً باحترام البشرية جمعاء، ولا شكّ أنّ الله تعالى سيكتبه مع المقرّبين، ومع النبيّين والصّديقين والشهداء والصّالحين... إلى يوم الدين.
فאלلهمّ، اكتب لنا هذا الفضل، ولا تحرمنا من هذا الأجر...
آمين.

د. محمد باباعمي

برج البحري، الجزائر العاصمة

ليلة الأربعاء 12 أكتوبر 2021م / 6 صفر 1443هـ





قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أُقْسِمُ
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ② أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلَى
قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ④

بذور المعنى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: بسم الله تعالى تعيَّنت حقيقةً اليوم الآخر، وظهرت علاماته ظاهرة لمن ألقى السمع ولم يتكبر؛ وبحمد الله تقلَّب الإنسان في وجوده منذ أن كان نطفة إلى أن تحوَّل إلى إنسان مسؤول كامل الحرية؛ ورحمة الله تعالى اقتضت أن لا يُترك سدى ولا يحيا سهللا، وإنما أرسل إليه رسول صادق، وأنزل معه قرآن واثق؛ ثم تتوزع النفوس إلى نفسٍ لوَّامة تتناغم مع حركة الحياة، وغيرها من النفوس الكافرة متنافرة عن الله وعن الحق؛ ثم إنَّ عنوان

هذه السورة المباركة وروحها يجيب على السؤال العميق:
﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؟.

❏ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: قال صاحب الكشاف: «إدخال

لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم» واختار أنها ترد في وسط الكلام وفي أوله؛ ومن صيغ القسم إدخال (لا) على الفعل، وكأنه قيل: لا أقسم بها لعظم شأني، ولو كنت مقسما بشيء لأقسمتُ بها، ويوم القيامة ظاهرٌ بحيث لا يحتاج إلى القسم به.

❏ ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾: النفس اللوامة هي التي تُكثِر لومَ

صاحبها على التقصير في التقوى وفي الطاعات، وتلومُه لومًا شديدًا حين الخطأ والمعاصي؛ وهذا اللوم يُعرف عادة بـ«محاسبة النفس»، ويكون اللوم بالتفكير، وبالنظر في العواقب، وبعقد النية على التوبة والاستغفار. ومن شرف هذه النفوس أن أقسم الله تعالى بها، ذلك أن العظيم تعالى لا يقسم إلا بأمر عظيم.

❏ ﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾: من جواب القسم،

أيزعم الإنسان مطلقا، أو أبو جهل بالخصوص، أن الله تعالى لا يحيي عظامه بعد أن تصير رميمًا، قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَبِيًّا خَلَقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 77].

❏ ﴿بَلْ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾: قدرة الله تعالى تتجاوز

إحياء العظام، فهو سبحانه قادرٌ على أن يجعل جميع بنانِ

الناس مستوية متشابهة، والبَنان أطراف الأصابع؛ وللتسوية معانٍ منها: أن تكون سوية ملتصقا بعضها ببعض، أو متساوية في الطول، أو متشابهة في الشكل وهو ما يعرف بالبصمات. أو أنه يوم البعث يُعيدها كما كانت في الدنيا، أي أن أدقَّ التفاصيل حين البعث تعود إلى ما كانت عليه، من خدش، أو علامة، أو عرج، أو حَوْل... فالله تعالى عليمٌ قادرٌ، جَلٌّ في عُلاه. وقد يكون معنى التسوية أن يلصق بعضها على بعض، حتى تصير كالكفِّ، فيكون عاجزا عن العمل بها كما هي في خلقه البديع، فيكون عدم تسويتها نعمة من نعم الله الجليلة.

والفرق بين «قادر على»، و«قادر أن» هو للتحكُّم والتمكُّن والاستعلاء؛ فقد يقدر إنسان مع مشقَّة، فيقول: «أقدر أن» أفعل كذا، ولكن إذا كان مما يقدر عليه، مستوليا عليه، فيقول: «أقدر على» فعل كذا؛ ذلك أن «على» حرف جرٌّ، من معانيه الاستعلاء والفوقية.



التشغيل والتفعيل

يعتري نفسَ الإنسان أوصاف كثيرة، منها ثلاثة أوصاف درجت المصادر أن تقسم الأنفس إليها: نفس أمارة وهي مذمومة ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53]، ونفسٍ لَوَّامة وهي محمودة ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، ونفسٍ مطمئنة وهي المبتغى ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: 27].

[30].

قال القدامى قبل أن يُعرَف أن بنان الناس مختلفة، وأنها علامات خاصة لكل إنسان: «لو شاء الله لجعل أطراف أصابعه خفاً أو حافراً، فلا يعمل به شيئاً» قاله مجاهد و قتادة وغيرهما؛ ثم اكتشف الإنسان أن بصمات كل إنسان مختلفة فيما بينها، وأنها خاصة به لا يشاركه فيها أحد من الناس... غير أن المعنى القديم لم تنته صلاحيته، وإنما يُضاف إليه فهم جديد، وقد تأتي تفسيرات أخرى أكثر تطوراً فتفسر الآية بها؛ لكن يبقى أن الآية تتجاوز الحقيقة العلمية إلى الحقيقة الكونية، مصدرها يقيني، وطبيعة العلم ظنية.

«علم البصمات» اكتُشف خلال القرن الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر للميلاد، له علاقة بالجنيات، وبالتعرف على السكان، وتحديد الهوية؛ وتُعرف البصمات بأنها «خطوط بارزة في بشرة الجلد تجاورها مُنخفضات، وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية. بحيث تتماهى هذه الخطوط وتتلوى وتتفرع عنها فروعٌ لتأخذ في النهاية، وعلى بنان كل شخص، شكلاً مميزاً لا يشاركه فيه أحد» ومن خصائص البصمات أنها: غير قابلة للتغير، وثابتة، ولا تتطابق؛ وحتى لو نزع جلد البنان، فإنها تعود حين يلتئم الجلد ويتكون إلى الصورة الأولى. واليوم ثمة بصمات في العين، والبصمات الوراثية... وغيرها.

• من الفكر إلى الفعل

• من المؤسف أن الآفة لم تكن ملهمة للمسلمين أن يكتشفوا علم البصمات؛ رغم أنها أشارت إليها بعبارة واضحة؛ وكذلك كثير من آيات الله تعالى، لو قرأناها بتفكر وبحث ودراية لكانت لنا أبواباً إلى اكتشافات لا حصر لها.

• ورد في الأثر، وعدّه البعض حديثاً، وقد كثر وروده في التفاسير بخاصة: «ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلاّ وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت، وإن عملت شراً قالت: يا ليتني لم أفعل».

• للقراءة: «البصمات أهميتها . أشكالها، إظهارها» ضياء الدين حسن فرحات . و«البصمات الوراثة» عمر السبيل .



قال الله تعالى:

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾

بذور المعنى

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾: أي يريد الفجور في المستقبل، كما أراده ومارسه في ماضيه وحاضره، فهو منغمس فيه، لا يفكر في الإقلاع عنه، ولا ينوي التوبة منه؛ فهو «يقدم الذنب، ويؤخر التوبة». وقد يكون ممن يسوف في التوبة، ويلتهم المعاصي ويجترحها، وهو لا ينوي أن يستغفر إلا إذا لاح له أمارات الهلاك: قال تعالى في مثل هؤلاء ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: 18].

﴿أَمَامَهُ﴾: الأمام ظرف للمكان المقابل استعير للزمان القابل والآتي والمستمر.

❖ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يسأل سؤال عنادٍ وكبرياءٍ وتهكُّمٍ، متى يكون يوم القيامة؟ أي أننا لا نراه ولا نرى أماراته وعلاماته، فهو إذن غير آتٍ. وسوف يرونه حين ينزل بهم، وتقول لهم الملائكة بعد أن يحزنهم الفزع الأكبر: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 102]، ولقد كانوا من قبل ﴿فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ﴾ [الحج: 5].



التشغيل والتفعيل

❖ فسّر العلماء آية ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ بعدة معانٍ، منها: قول ابن عباس رضي الله عنه: «يعني الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة»، أمّا مجاهد فقال: «يمضي أمامه راكبا رأسه»، وقيل: «الكافر يكذب بما أمامه من الغيب، ومن يوم الحساب»، وقيل: بل معنى ذلك أنه «يركب رأسه في طلب الدنيا دائبًا، ولا يذكر الموت».

❖ السؤال في القرآن الكريم عن زمن قيام الساعة ورد بعدة صيغ، وفي جميعها يردُّ الأمر إلى الله سبحانه، فهو وحده العليم بها، ومن ذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا؟﴾، ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ؟﴾، ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾.



❖ من الفكر إلى الفعل

❖ المسلم مؤمن بقيام الساعة، موقن أن أمرها عند الله تعالى، وهو لذلك يعمل لها، ويجاهد أن لا تقوم إلا وهو على الإيمان والعمل الصالح: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

❖ حديث: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» من جوامع الكلم، وفيه حث على العمل، ونهي عن الانقطاع والفتور، وأمر بالاهتمام بعمارة الأرض ابتغاء وجه الله، وعدم انتظار الأجر ولا الشكور من الناس...

❖ ومن أعظم فوائد الحديث أن الاستعداد ليوم القيامة يكون بالعمل لا بالكسل، بالحركة لا بالسكون، بالجد لا بالهزل. ثم إنه في أسوأ الظروف على المرء أن لا يتحجج بها، بل عليه أن يعمل مبتغياً وجه الله، ولا عليه بعد ذلك؛ فالحديث الشريف يفتح باب الأمل مسنوداً بالعمل على مصراعيه.

❖ للقراءة: «موسوعة مهاتير» محمد مهاتير، بخاصة الجزء المعنون بـ«التحدي».

قال الله تعالى:

فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوءُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾

بذور المعنى

﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾: لم يجبههم الله تعالى عن سؤالهم الوقح، ولم يجادلهم عن لجاجهم الجريء؛ ولكن عدل عنه إلى التهديد والوعيد بأهوال اليوم الذي يأتيهم قريباً؛ فبدأ بأثر قيام الساعة على العين، ذلك أن العين ترى إلى «الأمم»، وإلى الزمن الذي يريدون ليفجروا فيه.

وبرق البصر إذا بهت ودهش، وذلك حين يرى الإنسان بريقاً وامضاً فتلمع عيناه، وليس أعظم من بريق يوم ينفخ في الصور، وتستعر البحار، وتشتعل الأكوان ناراً وشواظاً.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: أي انطمس نور القمر يومها، فهو لا

يضيء؛ إمَّا بسبب اضطرابه واضطراب الأرض نفسها، أو بسبب ما يصيب الشمس - وهي مصدر نور القمر - من أهوال واختلاط.

❖ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: تلتصق الشمس بالقمر، فتصير كتلة واحدة، أو تلتهم الشمس القمر، فلا يبقى له أثر، ويخسف بذلك.

❖ والله تعالى وحده أعلم بصفة الخسف والجمع، فهي مما لا يقدر العقل على فهمها وإدراكها.

❖ ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: في ذلك اليوم الذي تحضر فيه أهوال القيامة، يسأل الإنسان عن النجاة، ويبحث عن مكان يأوي إليه لينجو من شديد العذاب الذي يصيبه، ولكن هيهات، لا مفرَّ يومئذٍ إلاَّ إلى الله، فإن كنت مؤمناً به حماك، وإن كنت كافراً وكلك إلى نفسك فتهلك. قال سيدنا نوح عليه السلام لابنه: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43].

❖ ﴿كَلًّا لَّا وَرَرُّ﴾: كلاً للردع والإبطال، فلا سبيل للمفرِّ يومها، ولا مكان يفرُّ إليه الكاذب؛ والورر هو المأوى والملجأ حين الشدائد، مثل الحصون والكهوف. وهذا القول: إمَّا أن يقوله له الله تعالى، أو الملائكة، أو الكافر نفسه يقوله لنفسه بعد أن يتعيَّن استحالة الهروب.

❖ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: المنجى والملجأ إلى الله وحده في ذلك اليوم، فإمَّا أن يكون مؤمناً فيستقرُّ في الجنة خالداً

مخلداً فيها أبداً، وإمّا أن يكون كافراً فالمستقرّ جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً؛ أعاذنا الله منها.

❑ وتقديم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على ﴿الْمُسْتَقَرُّ﴾ للحصر؛ فلا مستقرّ إلاّ مستقرّه، ولا نجاة إلاّ ما كان منه سبحانه. والكلام من الله تعالى موجّه إلى نبيّه ﷺ، ولذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، أو هو موجّه إلى الإنسان الذي يسأل: أين المفر؟ فيجاب: إلى ربك المستقرّ والمفرّج.



التشغيل والتفعيل

❑ مادة «خسف» في القرآن الكريم لها عدّة معانٍ ودلالات، منها: ﴿إِن نَّشَأُ نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [سبأ: 9]، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُنْحِسَفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ [الإسراء: 68]، أي نغيّبهم في الأرض أو في ناحية البرّ من الأرض؛ ﴿وَنَحْسَفَ الْقَمَرَ﴾ أي احتجب ضوءه وذهب إشعاعه؛ وفي قواميس اللغة كثيرة هي معانيها، تفهم حسب ما ينسب إليها، وضمن سياقها، ومن ذلك: غار، فقاً، نقص، هزل، جاع... إلخ.

❑ من روائع شعر التصريح إلى الله تعالى أبيات للإمام الشافعي، مطلعها:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع

أنت المعدّ لكلّ ما يُتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها

يا من إليه المشتكى والمفزع

يقول ديفيد بيرلنسكي: «إنَّ التحوُّل إلى الدين على فراش الموت، يُعتبر في الجملة علامة نفاقٍ يائسٍ؛ عبر سيرة حياتهم تلك، تصرَّف هؤلاء الحثالة وكأنه لا يوجد قوة أعلى من قوتهم». ويورد عددا من زعماء القرن العشرين، ممن تحول إلى الإيمان، بعد أن عاث في الأرض فسادا، ومنهم: هيملر، وروزفلت، وجوبلز.



• من الفكر إلى الفعل

• الفرار إلى الله تعالى نوعان: اختياري في الدنيا، وإجباري يوم القيامة؛ وفرار إلى الله للمؤمن، وفرار من الله للكافر.

• السعيد من فرَّ إلى الله تعالى حال كونه حراً مختاراً، حتى يجد المأوى والملجأ عند الله يوم يفقد الحرية والاختيار.

• للقراءة: «رحلتي من الشك إلى الإيمان» مصطفى محمود. «وهم الشيطان» ديفيد بيرلنسكي.



قال الله تعالى:

يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ
بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

بذور المعنى

﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: المراد بالإنسان الكافر وذلك ما يقتضيه السياق، حتى وإن كان كل إنسان يجد ما عمل من عمل حاضرًا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30]. ولا تُحمل الألفاظ في القرآن الكريم على محمل واحد، وإنما يُعتبر فيها السياق.

وفي هذا اليوم، أي يوم القيامة، يخبر الكافر بما قدّم من حسنة وما أخّر؛ أو ما قدّم من عمل وما أخّر؛ أو ما قدّم لما بعد الموت وما أخّر.

❖ ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ بَصِيرَةٌ﴾: بل للإضراب عن قوله تعالى ﴿يَتَّبِعُ الْإِنْسَانَ﴾؛ والبصيرة إدراك القلب وما يحسُّه الإنسان باطنًا، لا بالجوارح الظاهرة؛ أو البصيرة معناها الحجَّة، أي الإنسان حجَّة على نفسه لا لها؛ ذلك أنَّ جوارحه تشهد عليه: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 19].

❖ والإنسان حتى ولو كذب على جميع الناس، لا يستطيع أن يكذب على نفسه التي بين جنبيه، ولا على ربه الذي يعلم ظاهره وباطنه، ولا تخفى عليه خافية.

❖ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾: المعاذير جمع معذرة، وهي حُجَّة يُتَأَسَّفُ بها لرفع اللوم والحرَج والمؤاخِذَة، وهي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب. فهو وإن جادل عن نفسه، وألقى المعاذير إلقاءً، فإنَّه على حقيقة الأمر بصيرٌ، وعلى نفسه بصيرٌ.

❖ وقيل المعاذير جمع معذار أي ستار، والمعنى حتى وإن أرخى السُّتور ليُخفي ما عمل من سوء فإنَّ نفسه شاهدةٌ عليه. والمؤدَّى واحد ذلك أنَّ الحجَّة ستار معنويٌّ، والستار مانع ماديٌّ.



التشغيل والتفعيل

❏ «اختلاف مقامات الكلام يمنع من حمل ما يقع فيها من الألفاظ على محمل واحد، فإن في القرآن فنونا من التذكير لا تلزم طريقة واحدة. وهذا ما يغفل عن مراعاته بعض المفسرين في حملهم معاني الآيات المتقاربة المغزى على محامل متماثلة» [التحرير والتنوير].

❏ ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ قاعدة كلية في الإيمان، وفي الأخلاق، وفي شؤون الحياة كلها؛ ومن تطبيقاتها: أن الإنسان إذا كان مطمئن النفس في أمر أنه يرضي الله تعالى حتى ولو سخط الناس جميعا، فهو على نفسه بصيرة؛ ومن أمثلتها كذلك أن بعض الناس يجادل عن نفسه في قضية هو يعلم أنه فيها المخطئ، فيختلق المعاذير لذلك؛ وكذا أن يجتهد الإنسان وهو بصير على نفسه في البحث عن عيوبه هو، وفي التخلص منها، حتى ولو زكاه الناس كلهم، ولم يعرفوا ذلك العيب فيه...



٥٠ من الفكر إلى الفعل

٥٠ في سورة المائدة نقرأ مناجاة سيدنا عيسى لربه جل جلاله، وهي من أعظم الدعاء الذي يناجي به العبد ربه: «سبحانك... تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب».

٥١ نُهي عن التماس المرء المعاذير لنفسه، ولكنه أمر بأن يلتمس لأخيه المسلم أعذارا كثيرة، قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تُنكره فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا، فإن أصبته وإلا قل: لعل له عذرا لا أعرفه».

٥٢ للقراءة: «فلسفة الأخلاق في الشريعة الإسلامية» محمد عبد المعز بطاوي.



قال الله تعالى:

لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ. ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ
﴿١٩﴾

بذور المعنى

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: كان رسول الله ﷺ يحرك لسانه بالقرآن حين النزول مخافة أن ينسى، وذلك لمزيد حرصه وحبّه لكلام الله تعالى؛ وبذلك تلتقي فيه مشقتان: مشقة نزول كلام ثقيل، ومشقة الخوف من العجز في الحفظ والأداء؛ فنزل التخفيف من الله تعالى عليه: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ أي بالقرآن؛ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أي لتأخذه سريعا على عجل، وفي سورة آل عمران: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾: تكفل الله تعالى بجمعه في صدر رسوله ﷺ فلا يضيع منه ولا ينساه. و﴿عَلَيْنَا ... قُرْآنَهُ﴾: أي علينا إثبات قراءته وتشيتها متى وأنى شئنا؛ وهي هبة من الله تعالى اختص بها رسوله الكريم ﷺ ولم يحظ بها أحد غيره، فيما ورد من نصوص وأخبار.

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: إذا قرأناه وتلواناه على لسان جبريل عليه السلام؛ لأن التالي هو جبريل عن الله سبحانه؛ فاتبع القراءة ولا تجارها ولا تسبق القارئ. أو اتبع قراءته بالدرس والعمل، فيرسخ في قلبك ولسانك وجوارحك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾: أي بيان ما أشكل عليك من المعاني والأحكام، فإن الله تعالى يبينها لنبيه؛ وبيان كلام الله تعالى معلوم عنده ﷺ؛ لكنه موزع ومفروق بين المسلمين من بعده، ولا أحد من البشر يعلم جميع بيان القرآن الحكيم؛ لأن ذلك يحتاج إلى تعليم من الله تعالى مباشر. وكان ﷺ يسأل جبريل عن أشياء، فيأتيه الجواب من عند الله تعالى.



التشغيل والتفعيل

خطاب الله تعالى في هذه الآيات اعتراضية، غير مرتبط بما قبله أو بعده؛ إلا بما يلقي من ظلال بيانية بديعة، تنقل التالي إلى مقام عالٍ من المعنى، محركٍ للقلب وللضمير، ومنشط للجوارح وللعمل الصالح.

❖ تحوي هذه الآيات من سورة القيامة منهجا واضحا في تعليم القرآن الكريم، وفي تعليم غيره من العلوم والمعارف؛ ومن مواصفات هذا المنهج: أنَّ العجلة مذمومة والتأني مطلوب، أنَّ الكيف أولى من الكم، أنَّ الثقة في المعلم سبب لاكتساب العلم وفقد الثقة في المعلم ضار بالتعليم، وأنَّ تحكم المعلم فيما يعلم شرط في حسن التعليم، وأنَّ أسلوب القدوة وحمل التلميذ على اتباع أستاذه مفيد، وأنَّ البيان والمعنى شرط في العلم... إلخ.



• من الفكر إلى الفعل •

• يستفاد من الآية حرص رسول الله ﷺ على كلام الله تعالى، حتى حمّله ذلك على أن يعجل، ثم رحمة من الله تعالى على رسوله أمره أن لا يعجل بالقرآن قبل انقضاء وحيه. فهل الواحد منا حريص على كلام الله تعالى حقّ الحرص، أن لا يفوته لفظ، أو معنى، أو حكم، أو خلق... أسوة بالرسول الحبيب؟ أم أنّ علاقتنا بكلام الله سبحانه فاترة باردة؟

• امتنّ الله تعالى على نبيه أنه علّمه فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. ونحن نسأل الله على إثره: «اللهم يا من علمت نبينا محمداً ﷺ القرآن والبيان؛ علمنا القرآن والحكمة، وقد وعدتنا ووعدك الحق فقلت: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. • للقراءة: «تاريخ القرآن» أبو عبد الله الزنجاني؛ و«تاريخ القرآن» عبد الصبور شاهين.



قال الله تعالى:

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

بذور المعنى

- ❑ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: وَجَّه البعض الخطاب إلى رسول الله ﷺ على الاستئفاف، وذكروا أنَّ في الآيتين توبيخاً لرسوله عليه السلام، لكونه يعجل ولا يصبر؛ وفي هذا التوجيه تكلفٌ ظاهر؛ والصواب أنَّ الكلام إضراب لما قبله أي ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ... كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾. وشتان بين استعجال رسول الله ﷺ بالقرآن، وهو طاعة ومبرّة في حقه؛ وتعلّق الإنسان بالعاجلة التي هي الدنيا في مقابل الآخرة؟.
- ❑ ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾: أي تتركونها وتؤخّرونها؛ ولا تعملون عملٌ من يؤمن بها، ويرى أنها لا بدّ آتية: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [سورة الحج: 7].
- ❑ والإنسان الذي يريد أن يفجر أمامه هو المخاطب بهذا المعنى، فهو يحبُّ الدنيا ويُبغض الأخرى؛ أمّا المؤمن

فيحُبُّ الآخرة، ويعمل في العاجلة للأجلة؛ وليس بغضُّ الدنيا من الدين، وإنما الدنيا مطية الآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص: 77].



التشغيل والتفعيل

- ❖ لا تُسَبُّ الدنيا، ومن البدع التنسُّك والترهُّب والابتعاد عنها؛ وإنما هي خَلَقٌ من خلقِ الله تعالى، ومطية للخير والبر والطاعات، وابتغاء رضوان الله تعالى؛ وليس السبُّ بعبادة. وفي الحديث القدسي الشريف: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» (متفق عليه)، وفي رواية: «لا تسبُّوا الدهر فإنَّ الله هو الدهر»..
- ❖ الورع أن تكون بين الخلق مع الحق، لا أن تهجر الخلق لتكون مع الحق.
- ❖ يستفاد من هذه الآية ومن جملة كلام الله تعالى، وحديث رسوله ﷺ «علمُ الأولويات» ولقد طوره العلماء المسلمون، ومن قواعده: «أولوية العمل الدائم على المنقطع»، «أولوية العمل الأطول نفعا والأبقى أثرا»، «أولوية أعمال القلوب على أعمال الجوارح»...

•• من الفكر إلى الفعل

•• جبلت نفوس البشر على تفضيل العاجل على الآجل في كل شيء؛ فمن جاهد نفسه قَدَمَ الآجلِ الدائم على العاجل الفاني؛ ولا يكون ذلك إلا بالإيمان. قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

•• للقراءة: «فقه الأولويات دراسة في الضوابط» محمد الوكيل، «في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة» يوسف القرضاوي، «أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي»، «فصل الأولويات» محمد باباعمي.



قال الله تعالى:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

بذور المعنى

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: في ذلك اليوم الذي تبرق فيه الأبصار، ويخسف القمر، ويجمع الشمس والقمر؛ في ذلك اليوم ترى وجوهاً حسنة مُسفرةً بيضاً مشرقةً متهلّلة غضة؛ والحديث هنا عن وجوه أهل السعادة المؤمنين، المتبعين لمحمد ﷺ، العاملين بما جاء في كلامه الحكيم.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: البعض جعل النظر هنا بمعنى الانتظار، أي منتظرة؛ والبعض جعلها للنظر بالعين، أي أنها تنظر إلى الله تعالى.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: الوجوه الباسرة هي الكالحة والعبوس،

وهي عكس الوجوه الناضرة؛ ولا ريب أنها وجوه أهل الشقاء من الكفار؛ من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة. ﴿تَطُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: أي يظنُّ أصحاب تلك الوجوه ظناً يفيد اليقين أنها ستلقى فاقرةً وداهيةً ومصيبةً، وأمرًا عظيمًا مهولاً؛ والفاقرة مأخوذة من كونها تكسر فقار الظهر من الشدة؛ ويعبر عنها في المثل العربي بـ«قاصمة الظهر».



التشغيل والتفعيل

«الذواتُ لا تقيّد بالزمان إخبارًا ولا وصفًا ولا حالاً، لعدم الفائدة» (تيسير التفسير).

قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من المتشابه، قطعيٌّ في ثبوته، ظنيٌّ في دلالته؛ وهي من الآيات التي يستشهد بها كل فريق من المسلمين في علم الكلام: فريق ينفي رؤية الله تعالى يوم القيامة يؤولها، وفريق يثبت الرؤية فيأخذها على حقيقتها؛ ولكن لو أمعنا النظر، فإننا نجد كلا الفريقين يجتهد في تنزيه ذات الله تعالى من كلّ نقص، ومن كلّ ما يلزم الفريق الآخر من أحكام، مثل: التحيز، واللون من جهة، وتعطيل النصوص الحديثية، وليّ أعناق الآيات من جهة ثانية. ولو صدق العزم لانصبَّ الاهتمام على رؤية الله تعالى لنا، ومقتضى ذلك من علمٍ وعملٍ؛ ولتركنا له سبحانه، أن يهدينا إلى حقيقة «النظر» بما ينزهه جل جلاله، وبما يلائم

قطعيات التوحيد؛ وهو أعلم ببيان رسالاته.

❖ وصفت وجوه أصحاب الجنة يوم القيامة بجملة من الأوصاف في القرآن الكريم، منها: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾، ﴿وَلَا يَرهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (8) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾... نسأل الله أن يحشرنا في عباده الصالحين.

❖ أمّا وجوه أصحاب النار فوصفت بجملة من الأوصاف القبيحة منها: ﴿وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ... اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ ﴿تَرهَقُهُمْ ذِلَّةٌ... كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾، ﴿تَعَثَّى وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، ﴿إِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾؛ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرهَقُهَا قَتْرَةٌ﴾، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، ... نستعيد بالله من منقلب أصحاب النار.



• من الفكر إلى الفعل

• مما يزيد من نضارة الوجه يوم القيامة الوضوء، ولذا ينصحنا رسول الله ﷺ بقوله: «إنَّ أمتي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أثر الوضوء، فَمَنْ استطاع منكم أن يُطِيلَ غَرَّتَهُ فليفعَلْ» والغرة نورٌ ووضاءة على الوجه.

• أما من جعل مسألة الناس عادته وديده فقد قال فيه رسول الله ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مُرْعة لحم»، ثم قال: «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر».

• كرم الله تعالى وجه الإنسان، حتى إنه في القتال أو عند الخصام نهى عن ضرب الوجه، قال ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه»، وفي رواية: «لا يلطمن الوجه» وأجمع العلماء أنه في التربية لا يجوز الضرب على الوجه.

• في علم مقاييس الجروح ألف أبو العباس أحمد كتابه: «السيرة في الدماء» ومنه جروح الوجه، وهي أكثر دية وأرشا من غيرها.



قال الله تعالى:

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ
وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۖ

بذور المعنى

❖ ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾: الله تعالى يردعهم ثانية لما قالوا، ولَمَّا أتوا من زورٍ وجورٍ؛ وضميرُ الفعل ﴿بَلَغَتِ﴾ غيرُ المذكور، ولكنه معلوم من السياق، أي الروح؛ والترقي عظام الصدر من الجانبين، والروح هي التي تبلغ التراقي حين تحشرح.

❖ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: قيل بلا تعيين لمن يقول: أهم الحاضرون لحظة الوفاة؟ أم الأطباء؟ أم الأهل؟ لا يهم؛ وإنما الجميع يبحث عمَّن يرقى للذي حضره الموت.

❖ والرقيا كلام خاص وتلاوة وقراءة يرجى البرء بسببها.

﴿وَلَمَّا أَتَى الْفِرَاقُ﴾: وصفٌ بديعٌ لساعة الاحتضار، حين يعتقد أهل المريض أنه سيبوأ، ثم بعد بذل كل الجهد مداواةً ورقياً، ولا يجدون شفاءً ولا برءاً؛ ثم يعتقدون أنه الفراق، وأنها الساعة قد حلت، وحن أو ان فراق حبيبهم الدنيا. وقد يكون الذي يظن ويتيقن أنه الفراق هو المريض نفسه، أو الطبيب الذي يعنى بمداواته فيعجز حياله ويستسلم.

﴿وَالْتَقَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾: التوتُّ الساق بالساق من شدة الهول لموت محقق. وإذا أخذت العبارة على ظاهرها، فإنَّ المحتضر بعد موته تلفُّ الأكفان على ساقيه، فتلتفُّ ساقُ ساقٍ أخرى؛ وإذا أخذ على المجاز فإنَّ العرب يستعملون الساق للشدة، ولأوانٍ يجدُّ فيه الأمر، فيقولون: قامت الحرب على ساق، أو: الأمر على قدم وساق. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾: المساق تيسير الأمر لماشٍ إلى حيث يريد المشي، وضده القود وهو الدفع إلى حيث لا يريد؛ ويكون المساق طواعية إلى الله تعالى، إلى ربك يا محمد؛ فمن آمن سيق إلى الجنة، ومن كفر قيد إلى النار والعياذ بالله.



التشغيل والتفعيل

❖ في سورة الأنعام وصفٌ مزلزل للكافر حين تحضره الوفاة، وتبلغ الروح منه التراقي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: 93]؛ ولا أحد يقدر أن يفرَّ من الموت حين يغشاه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: 8]؛ لذا وجب على المرء أن يستعدَّ له، ويكون على أهبة ليلقى الله سبحانه.

❖ بين «الساق» و«المساق» جناس ناقصٌ، والتفافُ الساق بالساق صورةً بيانيةً بديعةً، وصورةٌ إدراكية عميقة؛ يقول سيد قطب: ﴿والتَّقَاتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ...﴾ وبطلت كلُّ حيلة، وعجزت كلُّ وسيلة، وتبيَّن الطريقُ الواحد الذي يُساق إليه كلُّ حيٍّ في نهاية المطاف: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ إِنَّ المشهد ليكاد يتحرَّك وينطق. وكلُّ آية ترسم حركة. وكلُّ فقرة تخرج لمحة. وحالة الاحتضار ترتسم ويرتسم معها الجزع والحيرة واللهفة ومواجهة الحقيقة القاسية المريرة، التي لا دافع لها ولا راد... ثم تظهر النهاية التي لا مفر منها: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.



❖ من الفكر إلى الفعل

❖ عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

❖ والكيس من دان نفسه، أي حاسبها وأذلها واستعبدها وقهرها حتى صارت مطيعة منقادة لله.

❖ أما من غلبته نفسه وعمل ما أمرته به، فهو الذي صار عاجزا لنفسه، فأتبع نفسه هواها وأعطاه ما اشتتهه.

❖ للقراءة: «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لكبري زاده.



قال الله تعالى:

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿31﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿32﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿33﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿34﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿35﴾

بدور المعنى

❖ ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾: الضمير عائدٌ إلى الإنسان المذكور مكرراً في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾، ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ... أي لتكذيبه بالبعث وكفره؛ والفاء للتفريع؛ أي أن هذا الإنسان لم يصدق ما جاء به محمد ﷺ من قرآنٍ وتوحيدٍ، ويلائمه ما جاء من بعد ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾.

❖ وقيل المعنى فلا صدق أي تصدق، وهو من مثل قوله تعالى: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾ في سورة المدثر؛ ولا صلى الصلاة التي هي عمود الدين؛ وفي الآية تعظيم الصلاة التي تلي التوحيد في الشأن والذكر.

❖ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: كَذَّبَ بالقرآن وبالحق، وبكل ما أمر به من عند الله تعالى؛ وتولى وأعرض عن تدبر كلام الله تعالى، والتفكر في عظيم خلق الله تعالى، والعمل بما جاء من عند الله تعالى من أمرٍ ونهي، ومن توحيدٍ وفقهٍ وأخلاق. ❖

❖ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: أصل التمطّي التمدد، يقال تمطى النهار إذا طال، وتمطى الرجل تمدد وشعر بالارتياح؛ ثم استعير للتبختر ومدّ اليدين حين المشي؛ وهي مشية المتكبر المغرور؛ وقيل نزلت الآية في أبي جهل؛ ذلك التمطّي من عاداته في المشي؛ وتعميمُ الصفة على جميع من فعل ذلك واردٌ، ولا عبرة بخصوص السبب، بل بعموم اللفظ.

❖ ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾: هي كلمة تهديد، وردت بال تكرار لتشديد الوعيد؛ كأنه قيل هلاك لك ثم هلاك، وهي للدعاء بالسوء؛ أهلكك الله تعالى هلاكاً أقرب إليك وأولى من كل شرٍّ وإهلاك، ومن ذلك مثلاً: «بُعدا لك بعداً»، و«سُحقا لك سُحقا»... كلُّها عبارات تفيد الدعاء بالهلاك. أمّا إذا كان القول من الله تعالى فهي لتحقق هلاكه لا للدعاء؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صُلِيًّا﴾ [مريم: 70].

❖ ﴿ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾: تكرار بالوعيد لتكرّر التهديد، ولبشاعة ما أتى هذا المذكور، وما يأتي به كلُّ إنسان كاذب ظالم مأه جهنم؛ ونار سقر؛ لأنه لم يتصدق ولم يصل، ولم يترك الشرّ

ولم يفعل الخير، كما أمره الله تعالى.



التشغيل والتفعيل

❏ ورد أن رسول الله ﷺ قال لأبي جهل: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (34) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فأنزل الله تعالى الآية، وقيل لما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بتلابيب أبي جهل، وقالها له.

❏ الصلاة شاهدة للمراء أو شاهدة عليه قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن الرجل الصلاة فأتَمَّ ركوعها وسجودها، قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، فترفع؛ وإذا أساء الصلاة فلم يتمَّ ركوعها وسجودها، قالت الصلاة: ضيَّعك الله كما ضيَّعتني، فتلفُّ كما يلفُّ الثوب الخلق، فيضرب بها وجهه» [رواه الطيالسي].



• من الفكر إلى الفعل

• الصدقة حجاب للمسلم من غضب الله تعالى، ومن النار؛ قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمره، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»

• والصلاة خير موضوع، وأفضل ما يشتغل به المسلم من عبادة؛ ففي الحديث الشريف: «الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ» .

• ومصير الإنسان يوم القيامة رهين بصلاته، قال عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتَهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ» .

• للقراءة: «عون المعبود على سنن أبي داود» لمحمد شمس الحق آبادي. و«شامل الأصل والفرع» محمد بن يوسف اطفيش.



قال الله تعالى:

أَيْحِسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ
تُمْتِي ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

بذور المعنى

﴿أَيْحِسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾: مختتم السورة فيه رجوع إلى المفتح: «عوداً على بدء»؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿أَيْحِسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ والاستفهام للتوبيخ؛ أيظن الإنسان ظناً لا رجاحة فيه أن يُترك مهملاً، وأن يعيش سهلاً، وأن يكون خلقه وعيشه وبعثه بلا فائدة ولا غاية، أي عبثاً: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

﴿أَلَمْ يَكْ نُظْفَةً مِّن مَّيِّ تُمْنِي﴾: «تمنى» أي النطفة، وقرئ «يمنى» أي المنى؛ وأصل أمني في اللغة أراق، فيقال أمني الدماء إذا أراقها؛ ثم حُصَّت بإراقة ماء الرجل.

وفي الآية تذكير بأول الخلق من نطفة تتشكل في رحم الأم، مصدرها منيٌّ يصبُّ من قبل الرجل في الرحم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾: ثم نما في الرحم ليكون بعد ذلك علقة، والعلقة لها معانٍ كثيرة منها: قطعة من دم غليظ جامد، وهي طورٌ من أطوار التكوين. ثم بعد مرحلة العلقه سواه الله تعالى في أحسن تقويم: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: 1-2].

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾: أي جعل بعد الخلق من المنى ثم من النطفة، ثم من العلقه إنسانا سويا، منه الذكر ومنه الأنثى، كما يريد الله تعالى، وكما كتب في اللوح المحفوظ.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾: ذلك العظيم الشأن سبحانه، ألا يقدر أن يحيي الموتى بعد أن ماتوا، وهو قد أوجد من عدم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: 78-79]، ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].



التشغيل والتفعيل

❏ روي أنه من قرأ سورة القيامة، ووصل إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؟ فليقل: بلى. وكذا سورة التين، وسورة المرسلات؛ وروي أن رسول الله ﷺ يزيد: «سبحانك بلى».

❏ يعرف المنوي علمياً بأنه: «السائل المنوي»، وهو أحد السوائل الجسمية، وهو سائل عضوي تفرزه الخصيتان (الغدد الجنسية) لدى الذكور، ويحتوي على الحيوانات المنوية بالإضافة إلى إنزيمات وبروتينات ومركب الفركتوز؛ وتعمل هذه العناصر على بقاء الحيوانات المنوية حية، فتوفر وسطاً يمكنها من خلاله التنقل أو السباحة. يتم إنتاج المنى في الحويصلة المنوية، ويندفع خارج الجسم عبر العضو الذكري بعملية تسمى القذف».

❏ ما بين 200 إلى 500 مليون حيوان منوي تنتج في الخصية خلال القذف الواحد، ومنه يلحق حيوان منوي واحد فقط، هو ذلك الجنين الذي يولد بعد مدّة، ثم يكون إنساناً ويعيش، ثم تكون حاله ما ذكر في السورة، من كفر وتكذيب ووجود.

❏ يلائم آخر سورة القيامة أول سورة الإنسان إلى حدّ التطابق في السياق، وكذا سائر السورة؛ إلى حدّ يجعلهما وكأنهما

سورة واحدة. وقد أجريت عدة بحوث في المناسبة بين
السورتين.



من الفكر إلى الفعل

- التفكير في عظيم خلق الله تعالى، مأمور به شرعا، وهو يقوي الإيمان، حين يكون صادقا بلا ادعاء ولا غرور؛ ومن أعظم ما يقوي الإيمان دراسة علم الأجنة، ومراحل نمو الإنسان.
- قال ابن أبي زيد: «لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون.. يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته».
- للقراءة: «متن الرسالة» ابن أبي زيد القيرواني، «سنريهم آياتنا» عبد المجيد الزنداني.





قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢

بذور المعنى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: باسم الله وحده، ومن رحمة الله سبحانه، كان الإنسان في العدم، ثم خلقه الله تعالى طورًا بعد طور؛ وركب فيه من الملكات ما جعله أفضل الخلق أجمعين، ثم أنزل عليه الهداية فكان منه كافرٌ، وكان منه مؤمنٌ؛ ولقد فصلت السورة تفصيلاً بديعاً في مقام المؤمن، هنالك في الجنات، وتركت مقام الكافر للإيجاز الذي يقتضيه السياق. وكلُّ أمر كان أو يكون إنما هو من مشيئة الله سبحانه: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. هذه هي قصة الإنسان كلها، من أولها

إلى آخرها، إنها مبسوطة في سورة تسمى: سورة الإنسان، وسورة الدهر.

❖ ﴿هَلْ آتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾:

«هل»: تأتي بمعنى «قد»، أي «قد أتى»، وأصلها «أهل أتى؟» أي «أقد أتى؟»؛ والمقصود هو التقرير أنه أتى على الإنسان حين؛ فهو من الاستفهام التقريري، أو للتحقيق على الخبرية، وليست للاستفهام الحقيقي.

❖ والمعنى أنه قبل وقتٍ من الزمان الطويل ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾،

أتى على الإنسان حالٌ لم يكن فيه شيئاً موجوداً، لقد كان عدماً، ثم كان في الأرحام مودعاً، ثم شاء الله تعالى أن يتنقل من العدم إلى الوجود، فيسرَّ الله تعالى له أسباب ذلك.

❖ والإنسان إمَّا أن يكون «جنس الإنسان» أو آدم عليه السلام،

ثم ذريته من بعده؛ والمحصَّلة واحدة؛ ومراحل خلق هذا الإنسان على التفصيل التالي.

❖ وقد يكون «الشيء غير المذكور» الذي كان عليه الإنسان؛

الترابُّ وما تولَّد عنه، أي لا قيمة له ولا ذكر ولا نسبة، أو غير مذكور تعني جميع مراحل الحمل، يكون فيها الإنسان نكرةً غير معروفٍ، ثم حين يولَّد يُعرَف ويُذكَر.

❖ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾: هو استئنافٌ

لما تقدَّم، وبيانٌ لمراحل خلق الإنسان الذي لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم كان مخلوقاً من ترابٍ وماء مهين، خلقه الله

تعالى نطفةً أي خليةً جنسية ذكرية تسبح في المنى، وتسمى علمياً «الحيوان المنوي».

❏ «الأمشاج» هي الأخلاط، لما تحتويه النطفة الواحدة من مكونات كثيرة. وقد جعلها البعض بمعنى «الجاميت Gamete» في علم الأجنة المعاصر؛ وهي خلية جنسية أحادية.

❏ نبتليه أي نختبره، وهو هنا كناية عن التكليف، أي خلقناه للابتلاء: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المومنون: 115].

❏ ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: لَمَّا ذَكَرَ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، بَيَّنَّ تَعَالَى أَسْبَابَ ذَلِكَ الْإِبْتِلَاءِ، فَالْسَّمْعُ وَالْبَصَرُ هُمَا الْمُنْفَذُ الَّذِي مِنْهُمَا تَمَرُّ الْأَحْكَامِ، فَيَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَرَى بَدِيعَ صَنْعِهِ وَدَلَائِلَ قُدْرَتِهِ؛ فَتَكْتَمِلُ عِنْدَهُ أَسْبَابُ الْإِبْتِلَاءِ؛ وَإِلَّا رُفِعَ عَنْهُ الْحَرْجُ.

❏ والسمعُ والبصرُ المؤديان إلى الفهم والعقل والإدراك، هما خاصية الإنسان التي رُشِّحتَ لمهمة عظيمة في الحياة: مهمة التكليف؛ وجعلته بإرادة الله تعالى مخيراً لا مجبراً، قادراً على الطاعة، قادراً على المعصية، بأمر من الله سبحانه.



التشغيل والتفعيل

❏ الحين: وقتٌ من الزمان مبهم، طال أم قصر؛ هكذا جاء في القواميس، ولكن يبدو أنها تعني الوقت القريب لا البعيد،

يقال حان ويحين وقتُه، أي قُرْبُ بَعْضِ النظر عن طول هذا الزمن وعن قصره. ومقارنة أي زمن بالأزل والأبد يعتبر قريبا. أمَّا الدهر فهو الزمان الطويل، أو مدَّة الحياة كُلِّها، أو الزمان مطلقاً قلَّ أو كثر.

❏ سميت السورة: سورة الإنسان، وسورة الدهر، وسورة هل اتى.

❏ بين سورة الإنسان والسورة التي سبقتها في الترتيب المصحفي «سورة القيامة» تناسبٌ عجيبٌ؛ فنهاية سورة القيامة: ﴿أَيْحِسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ...﴾، وبداية سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ...﴾.

❏ العبادة لا تقتصر على الشعائر من مثل الصلاة والصيام؛ ولكنها تتجاوز إلى معرفة الله تعالى، وحبّه والعمل على نيل رضاه؛ وهذه العبادة هي الغاية الكبرى من وجودنا، وهي التي تحررنا من عبادة من سواه: ﴿... نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ليسمع ويرى هذه الحقيقة العظمى، فيكون من السعداء يوم القيامة.



• من الفكر إلى الفعل

- من ثمرات الآية أن كل إنسان يعترف ويقر أنه لم يكن يُعرف، ولم يكن أحدٌ يذكره باسمه، ثم حين جاء إلى الدنيا، صار معروفاً ومذكوراً.
- وحين يموت قد يتحوّل مرة أخرى إلى نكرة، وهو غالبُ أحوال الناس، وقد يبقى ذكره في العالمين، وهو الغالب في حال العلماء والأعلام، والذين تركوا بصماتهم في التاريخ.
- يقول سيدنا إبراهيم عليه السلام: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» أي ذكرا حسنا،
- من الناس من يخلد ذكره بالشر كفرعون مثلاً، والعياذ بالله، قال تعالى فيه: ﴿قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾. فلينظر كل إنسان عاقل أي سبيل يسلك.
- للقراءة: «القرآن معجزة المعجزات» أحمد ديدات. «موجز تاريخ الزمان» ستيفن هاوكينغ.



قال الله تعالى:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

بذور المعنى

- ❏ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: جملة استثنائية بيانية، أي نبتلي الإنسان؛ وصفة الابتلاء أننا هديناه السبيل.
- ❏ والضمير «إِنَّا» لعلو شأن الهادي، وهو الله سبحانه وتعالى، ويلاحظ أنه لم يذكر اسم الله تعالى بالتصريح من أول السورة إلى الآية اللاحقة، فهل لموضوع السورة أثر على الأسلوب؟ لا شك في ذلك، سواء أدرناه أم لم ندركه.
- ❏ والهداية: الإرشاد والدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، والهداية من الله تعالى التوفيق؛ وهذان المعنيان هما الواردان في القرآن الكريم. فقبل للرسول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ

صِرْطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: 49﴾، بمعنى التوجيه والإرشاد؛ ثم قيل له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفصص: 56]، وقيل له: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: 272] بمعنى التوفيق.

❖ والله تعالى أرشد الناس جميعاً إلى الطريق الموصلة إلى النجاة، وإلى السعادة؛ ووفق المؤمنين إلى الأخذ بما جاء به من وحي وحكمة، وتوحيدٍ وعملٍ صالح.

❖ ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾: في الاستجابة لله تعالى حين هدى وبين وأرشد توزع الناس فريقين: شاكراً مؤمن: عرف الحق فاتبعه، وعرف النعمة فشكرها، وعرف المنعم فأمن به، وعرف الآخرة فأعد لها العدة؛ وفريق ثان كثير الكفر «كفور»: عرف الحق فأعرض عنه، وعرف النعمة فكفر بها، وعرف المنعم فجحده، وعرف الآخرة فلم يعد لها العدة. وكلا الفريقين قد هدى السبيل، وأقيمت عليه الحجّة البيّنة.

❖ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾: تكرير «إنّا» لتيئيس الكافر الكفور، فالله تعالى هو الذي أعد ما أعد، ولا مهرب من قدرته وجبروته سبحانه؛ وأعدنا بمعنى أعدنا، ويقال اعتد كما يقال أعد: ﴿وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتَكَأً﴾ [يوسف: 31]. وأعد بمعنى حصر وجهز وهياً، وهو في حق الله تعالى خلق وأوجد من عدم.

❖ للكافرين بنعم الله تعالى، أعد لهم «سلاسل» أي قيوداً من

حديد يقيّد بها الجُنّة والأسرى والحيوانات عادةً، وقد وصفها تعالى في قوله من سورة الحاقة: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: 32].

❖ والأغلال هو قيدٌ آخر من حديدٍ أو جلد، يوضع في رقبة السجين أو في يديه، جمعُ غلّ.

❖ والسعير نار عظيمة مستعرة مشتعلة، موقدة هائلة. والسعير فيها جميع ما ذكر من سلاسل وأغلال، والعطف عطف بعضٍ على كلِّ، كما يقال: لك في البيت فاكهة وحلوى وطعام.



التشغيل والتفعيل

❖ الصورة البلاغية لقوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ مكثفة جداً، موحية لمعان متراكبة لا حصر لها؛ منها وجود هادٍ وهو الله تعالى، ومهديٌّ وهو الإنسان، وطريقٍ موصلة وهو السبيل، وهدايةٌ وهو الوحي والأمر والحكم، والتبشير والإنذار، وطاعة ومعصية، وقبول ورفض... وغير ذلك من المعاني التي لا حصر لها مما لو عبّر عنه بأسلوب تقريرى غير «الصورة الإدراكية البلاغية» لما أدّى نفس الغرض، ولما بلغ هذا المبلغ من العمق والجمال. كلُّ هذه المعاني جاءت في أخصر عبارة وأبلغها، وهذا من تمام إعجاز كلام الله تعالى.

❖ إذا كان الله تعالى الذي خلق الإنسان، وأمدّه بجميع أسباب الحياة والفكر، لم يُرغمه ولم يقهره، ولم يفرض عليه خياراً معيناً؛ وإنما فسح له في الحرية ليختار، ثم ليتحمّل تبعات ما اختار؛ فما بال الناس يرغم بعضهم بعضاً، ويقهر بعضهم بعضاً، ويضيق الأقوياء منهم الحريات على الضعفاء؟ يزداد العجب حين يتم ذلك باسم الدين، وتحت مسمى الإسلام؛ أمّا الشرك والكفر فهذا ديدنه، وهذا سبيله، وهو ظلم كلّه.



من الفكر إلى الفعل

على الدعاة لله تعالى أن يوضّحوا للناس المعنى الصحيح للحرية، ويبينوا لهم المفاهيم الخاطئة عن الحرية، بخاصة في عصرنا؛ ويعلموا الناس احترام حرية الآخرين، وفهم قواعد الاختلاف؛ حتى يتيقنوا أن الحرية التي تنضبط بقواعد الدين السمح، والشرع الحنيف، والعرف الصحيح، سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

من الأسئلة التي ينبغي معالجتها باستفاضة في الفكر الإسلامي: ما مفهوم الحرية في الإسلام؟ ما هي ضوابطها في مجالات الحياة؟ ما حدود الحرية الدينية؟ ما هي علاقة الحرية بالمسؤولية؟ ما هي الانحرافات المعرفية في تعريف الحرية من خلال التراث، ومن خلال المذاهب الحداثية، وما بعد الحداثة؟ ما هو مصدر الحرية: الله، العقل، العرف، القانون...؟

هي أسئلة تندرج ضمن «مشكلة الحد الفاصل»، وهي من أعمق أسئلة الفلسفة في هذا العصر.



قال الله تعالى:

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

بذور المعنى

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾: الأبرارُ جمع برّ وبارّ، وهو المكثّر من عمل البرّ والخير، ومن معاني البر الصدق والوفاء، يقال برّ بوالديه إذا توسّع في الإحسان إليهما، ووصلهما، ورفق بهما، وأحسن معاملتهما. والبرُّ مطلق فعل الخير، والبرُّ من صفات الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: 28].

والكأس إناء مجعول للشراب، ولا يسمّى كأسًا إلا إذا كان فيه شرابٌ؛ أمّا الكوب فهو من آنية الشراب، سواء أكان فيه شرابٌ أم لا، وهو أعمُّ من الكأس.

❖ وتسمّى الخمرُ كأسًا على وجه المجاز المرسل، ولذا أريدَ
❖ بالآية جنسُ ما يُشرب لا الوعاء الذي يُشرب فيه؛ وهو
ممزوج بالكافور، وهو زيت زكي الرائحة منعش، أبيض
اللون. وأصل الكافور نباتٌ زيتي.

❖ والموطن الأصليُّ للكافور الصين وما جاورها، ثم انتقلت
❖ زراعته إلى البلاد الأخرى. وللكافور فوائد طيبة عديدة؛
ولكن لا ريب أن كافور الجنة غير كافور الدنيا، وإنما
التشابه في الاسم فقط.

❖ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: أي ذاك الكافور،
❖ أو ذاك المشروب الممزوج بالكافور عينٌ يشرب بها عباد
الله؛ ولا يقال «بها» بمعنى «منها»؛ ذلك أن من بديع ما في
الجنة أن تكون العين مما يشرب به، ولعلّها تقوم مقام
الكوب وغيره، وليس هذا مما يعرف في الدنيا.

❖ وهم يفجّرون العين أي يحفرون لها فتنة نبعًا عظيمًا غزيرا.
❖ ووصفُ المؤمنين الأبرار بـ«عباد الله» مدحٌ لهم؛ وفي
الانتساب إلى الله تعالى بالعبودية عزّة وشرف، ورفعة
ومكانة، وفيه تعريضٌ بمن كان عبداً لغيره. ولعلَّ كلَّ واحد
من أهل الجنة يفجّر عيناً متى يشاء، وأين يشاء، ثم تعود كما
كانت، وإذا اشتهاها فجّرّها، فلا ندرة ولا نضوب في الجنة.



التشغيل والتفعيل

❖ في آية سورة البقرة ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ - آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [البقرة: 177] بيان مفصل لحقيقة البر، وأنه ليس في الشكليات، وإنما هو في أصل الأمور: الإيمان، والصدقة، والصلاة، والوفاء بالعهد، والصبر، والصدق... فكأن البر هو أوسع لفظ جامع لخصال المؤمن كلفظ التقوى، والطاعة، والإحسان، والخير...

❖ ولقد كان الصحابة حرصين أن يسألوا عن البر والخير، حتى يأتيه؛ ففي حديث بديع روي أن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر؟» (أي عرف ذلك مني ولم أخبره به) قلت: نعم، فقال: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» [رواه أحمد].

❖ ضد البر في اللغة هو الفجور؛ كما أن ضد الصدق هو الكذب؛ ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة؛ وإن الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله عز وجل صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار؛



وإنَّ الرجل ليتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً [رواه البخاري].



• من الفكر إلى الفعل

- إذا أراد المرء أن يكون من الأبرار، وسأل ماذا يعني البر؟ وما هي صفات العبد البار؟ أجب رسول الله ﷺ: «البر حُسن الخُلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس».
- البرُّ معياره ذاتي نفسي قلبي، وليس من الأوصاف الخارجية، ولا مما يظهر للناس؛ وإنما الذي يظهر هو أثر البر لا البر بعينه.
- للقراءة: «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» محمود الزمخشري المفسر. و«الأذكار من كلام سيد الأبرار المسمى حلية الأبرار وشعار الأخيار» يحيى بن شرف النووي. و«بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» عبد الرحمن السعدي...



قال الله تعالى:

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
 وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا
 نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾

بذور المعنى

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: صفة هؤلاء الأبرار من عباد الله، الموعودين بالجنات، أنهم كانوا في الدنيا يوفون بنذرهم؛ والنذر «إلزام المكلف المختار نفسه شيئاً لله تعالى، سواء أكان فعلاً أم تركاً».

وفعل المضارع «يوفون» للدوام والتكرار.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: هم يعرفون ما أعدّ لذلك اليوم من هولٍ لمن عصى، فهم لذلك يخافون ما يحيق بهم من عذاب شديد، وما أعدّ للكافرين من سلاسل وأغلالٍ وسعير؛ ووصف ذلك اليوم أنّ شرّه مستطير أي منتشر في

كُلِّ مَكَانٍ، مَاخُودٌ مِنْ اسْتِطَارَ أَي طَارَ وَانْتَشَرَ.

❖ ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾: هُمْ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ حَالِ كُونِهِمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَيُحِبُّونَهُ؛ وَهُمْ يُطْعَمُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَا كَانَ جَيِّدًا: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 267]، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92].

❖ وَالْهَاءُ إِمَّا عَائِدَةٌ لِلطَّعَامِ أَي حَالِ كُونِهِمْ يُحِبُّونَهُ؛ وَإِمَّا عَائِدَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَي لِحُبِّهِمْ اللَّهُ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ.

❖ ﴿مَسْكِينًا وَبَيْتِيًّا وَأَسِيرًا﴾: يُطْعَمُونَ الْمَسْكِينِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ ضُرُورَاتِ الْعَيْشِ، وَالْيَتِيمَ الَّذِي فَقَدَ الْأَبَّ قَبْلَ الْبُلُوغِ، وَهُوَ غَالِبًا عَرِضَةٌ لِلْحَاجَةِ وَالضِّيَاعِ؛ وَالْأَسِيرَ وَهُوَ مَنْ وَقَعَ فِي قَبْضَةِ عَدُوِّهِ؛ فَإِنْ كَانَتِ الْآيَةُ مَكِّيَّةً، فَالْمَقْصُودُ مَنْ وَقَعَ فِي أَسْرِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ كِبَلَالِ بْنِ رَبَاحٍ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه؛ وَإِنْ كَانَتِ مَدِينِيَّةً، فَالْأَسِيرُ هُوَ الْمُشْرِكُ الَّذِي وَقَعَ فِي أَسْرِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ قَتَادَةَ: «لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْأَسْرَاءِ أَنْ يُحَسِّنَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ أَسْرَاهُمْ يَوْمئِذٍ لِأَهْلِ الشَّرْكِ».

❖ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾: أَي يَقُولُونَ لِلَّذِينَ يُطْعَمُونَهُمْ تَأْنِيسًا لَهُمْ، وَتَوْقِيًّا مِنَ الْمَنِّْ وَالْأَذَى، الَّذِي يَلْزَمُ الصَّدَقَةَ وَالْإِطْعَامَ حِينَ يَكُونُ لَغِيرِ وَجْهِ اللَّهِ؛ وَقَدْ يَكُونُ الْقَوْلُ بِالْحَالِ لَا بِاللِّسَانِ وَهُوَ أَدْعَى لِلْقَبُولِ، لَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَرِافِقَ تَكَرُّرَ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ مِنْ حَرَجٍ لَدَى الْقَابِضِ.

﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾: في إطعامنا لكم، ثم في ابتغاء وجه الله تعالى جزاء الإطعام، في جميع ذلك لا تُريد منكم جزاءً، وإنما نريد الجزاء من الله تعالى وحده، فهو كفيل بذلك وهو الغنيُّ الحليمُ.



التشغيل والتفعيل

لا نذر في معصية الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية الله تعالى، وكفَّارته كفَّارة يمين» (رواه الترمذي). والنذر يكون في الطَّاعات، ولكنَّ الشرع لا يرغَّب فيه، قال عليه السلام: «من نذر أن يطيع الله تعالى فليف بنذره» (رواه أبو داود). وفي حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا تنذروا فإنَّ النذر لا يغني من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل» (رواه مسلم).

«ليس ينقص ثوابُ المعطي بدعاء المعطى» قاعدة كلية.

الآية دليل على أنَّ الله تعالى مؤيد وناصر لنبيه على جميع من يؤذيه أو يظاهر عليه؛ كيف وقد ذكر معه جبريل، والصالحين من المؤمنين جميعاً، والملائكة بلا استثناء؛ في مقابل إيذاية زوجته له، ومظاهرتهما له؛ ولو كان الأمر أكثر إيذاية من ذلك، فإنَّ النصره ستكون أقوى وأعظم شأنًا.

• من الفكر إلى الفعل

- النذر مكروه والأصل أن المسلم يأتي الخير بلا نذر، قال رسول الله ﷺ: «إنه لا يردُّ شيئاً وإنما يستخرج به من الشحيح»، ومن النذر ما يثقل على المرء ما خففه الله تعالى عليه.
- ومن نذر في غير معصية وجب عليه الوفاء بنذره، وإن ترك الوفاء عصي وكان آثماً.
- لا يجوز صرف النذر لغير وجه الله تعالى، فمن نذر لقبر أو وليٍّ ونحوه، فقد أشرك بالله تعالى.
- المنُّ والأذى يبطلان الأجر، وهما من المعاصي التي تكسب صاحبها ذنباً ووزراً، ومن كان ديدنه المنُّ سميَّ منَّاناً، وهو لا يدخل الجنة، وقد قرنه رسول الله ﷺ بالعاق والمدمن، فقال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنَّان بما أعطى».



قال الله تعالى:

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ
ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

بذور المعنى

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾: هذا المَقول مواصلةً لِقولهم لهم بالحال أو باللسان؛ إنما نأتي أعمال البرِّ، ونتصدَّق ونطعم الطعام؛ لأننا نخاف أن يلحقنا من ربنا يومٌ عبوسٌ؛ والعبوس صفةُ الوجوه في ذلك اليوم، فأضيفَ إلى اليوم نفسه مجازاً، أو هو يومٌ عبوسٌ وجوه أهله، وفي سورة القيامة: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَتَّظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: 24-25].

والقمطير هو شديد العبوس، وطويل الشرِّ، يقال: رجلٌ قمطير، أي شديد العبوس مكفهر الوجه، تعلق وجهه قترَةً؛

وهذا اليوم شديدٌ صعبٌ ففيه إلتفُّ شرٍّ بعضه ببعضٍ، فصار شرًّا مركَّبًا.

❏ ﴿تَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾: ولأجل ذلك، ولأنهم صدقوا في إيمانهم، وعملوا الصالحات، وابتغوا بها وجه ربهم؛ فإنه سبحانه جازاهم بأن جعل بينهم وبين شرِّ يوم القيامة وقايةً وحاجزًا وسترًا، وحماهم من كلِّ أذى، في سورة فاطر نقرأ قوله تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 35].

❏ ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾: لقَّاهم الله تعالى، أي جعلهم يلقون، وأعطاهم ووهبهم نضرةً في وجوههم؛ والنضرة الحسنُ والإشراقُ، والجمالُ والرونقُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: 22]؛ هذه علامةٌ بادية على وجوههم؛ أمَّا ما يخفى في قلوبهم فهو سرورٌ وغبطةٌ؛ وعرَّف السرور أنه «ارتياح في القلب عند حصول نفع أو توقُّعه، أو اندفاع ضررٍ، وهو الفرح، والبهجة، والحبور».



التشغيل والتفعيل

❏ قال الإمام علي عليه السلام: «أمَّا طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأمَّا اتباع الهوى فيصدُّ عن الحقِّ، ألا وإنَّ الدنيا قد ولَّت مدبرةً، وإنَّ الآخرة قد أقبلت مُقبلةً، ولكلِّ واحدةٍ منها بنون؛ فكونوا

من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل».

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «إنَّ الإسلام عقيدة قلوب، ومنهج تربية لهذه القلوب. والعاطفة الكريمة تهذب صاحبها، وتنفع من يوجهها إليه من إخوانه، فتفي بشطري التربية التي يقصد إليها هذا الدين».



• من الفكر إلى الفعل

• قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» فمن خاف اليوم العبوس القمطير، لم يتخذ ذلك مجرد معنى، وإنما سارع في فعل الخيرات، وأدلج بالسير ليلاً، وعند الصعاب، ليدرك مبلغه ومنتهاه؛ ذلك أن الجنة الخالدة ثمن غال عزيز المنال.

• قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم».

• للقراءة: «نهج البلاغة» للشريف الرضي، وقد جمع فيه جمهرة كلام الإمام علي.



قال الله تعالى:

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا
يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ
فُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

بذور المعنى

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: من تمام إكرام المؤمنين، أن الله تعالى «جزاهم» مقابل صبرهم في الدنيا؛ والفعل في الآية معطوف على «وقاهم... ولقاهم». وهم قد صبروا في الدنيا على الطاعات، وصبروا عن المعاصي، وصبروا وقد أودوا من قبل الكفار والمشركين أذى كثيرا. وجزاؤهم جنة فيها ظلال ونخيل وأشجار ومياه... وفيها مساكن ناعمة، ولباسهم كذلك من حرير وسندس: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]؛ كذلك فراشهم من حرير وإستبرق: ﴿فُرُشٌ مِّنْ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: 54].

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: الاتكاء هو قعدة بين الجلوس والاضطجاع؛ على أسرة بها وسائد وستائر، والأرائك جمع أريكة وهي قطعة من الأثاث للجلوس أو للاستلقاء؛ وهذه الأرائك من الحرير الخالص بطائنها، أمّا ظاهرها فهو أكثر جمالا ورقة.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾: في هذه الجنة لا يصيبهم ما يصيب سكان الدنيا من حرٍّ وقرٍّ، ومن حرارة الشمس، وبرودة الليل؛ والزمهير البرودة وكذلك القمر، وهما غالبا متلازمان؛ إذ لا شمس في الجنة ولا نهار، ولا قمر ولا ليل.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: الدانية الجنة وُصِفَتْ بما وصف به ظلال أشجارها كونها دانية: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 22-23]. وذُلَّتْ أي سهلت قُطُوفُهَا؛ لأنَّ القطف للثمار والفواكه في أحوال الدنيا قد يكون غير مذل، بخاصة ما كان من تمر ونحوه؛ والتذليل بديعٌ وعظيمٌ، وذلك أنها تصير في متناول المنعم وهو في جميع أحواله قائمًا وقاعدًا، متكئًا ومضطجعًا. أو هي عالية إذا أرادها اقتربت منه؛ أو هي على صور أخرى كثيرة لا يملك خيال الإنسان تصورها لقصوره ومحدوديته.



التشغيل والتفعيل

❑ جزء الصابرين عند الله تعالى عظيم، وفي كلام الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ... أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿... وَالصَّابِرِينَ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ غير أنَّ الصبر عزيزٌ، وقلَّ من الناس من يتحمَّله.

❑ ثمة سؤال يحير المشتغلين في هذا العصر بالتربية: كيف يزرعون قيمة الصبر في الأطفال؟ بخاصة أن طبيعة العصر تتسم بالسرعة والتسريع، وتدعو إلى قلة الصبر والمصابرة، وتمنع من أسباب التحمُّل والصبر في كلِّ شيء: في التعلم والتحمل، والكلام والعمل، والمأكل والمشرب... الخ.



• من الفكر إلى الفعل

• أمرنا الله تعالى بأن نتعاون على الصبر، ونتواصى به، وهدانا إلى الصبر سبحانه فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾... ثم عد الصبر من العزائم: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

• قال رسول الله ﷺ: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»، وقال: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر».

• ولذا وجب أن نتحلى بالصبر، وأن ندعو الله تعالى في كل حين أن يجعلنا من الصابرين، ويرزقنا الصبر: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

• للقراءة: «الصبر والثواب عليه» محمد ابن أبي الدنيا؛ «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» ابن قيم الجوزية.



قال الله تعالى:

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبِئَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥
 قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
 مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾

بذور المعنى

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبِئَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾: مبني للمجهول ظاهره أن الولدان يطوفون، وقد يكون غيرهم، أو على صيغة من الطواف مجهولة عندنا في أحكام الدنيا، من مثل أن تأتيهم الآنية وتطوف بهم بلا حاجة إلى من يحملها، ثم يكون الولدان صيغة أخرى للطواف، ولا مانع من تعدد الصيغ.

والآنية ما يوضع عليه الشيء، وهو وعاء الطعام أو الشراب؛ والراجح أن الطعام والشراب لا يخزنان في الجنة، وإنما يأتي كل واحد منهما غصبا طريا في أوانه، من مصدره وشجره، ومنبعه وعينه، أو قد لا يحتاج إلى سبب من شجر

أو زرع أو حيوان.

❖ ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾: الكوب هو القَدَح من الزُّجاج ونحوه، مستدير الرأس، لا عُرْوَة له، ولا نَتَوَّ فيه يقبض به، وهذه الأكواب قواريرٌ - جمع قارورة - من زجاج خالصٍ، تحفظ فيها المشروبات، في بياض الفضة وشفاء الزجاج.

❖ ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: كون القوارير جامعة بين كونها من فضة ومن زجاج في آن واحد؛ كأنه قيل: زجاج من فضة؛ لعل مادة الزجاج في الجنة ليست هي التراب وإنما هي الفضة، فيكون مصنوعا من فضة ولكنه على صورة قارورة زجاجية لامعة، وهو مما لا يعرف في صناعات الناس اليوم. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لو رقت فضة الدنيا حتى تصير كجناح الذباب لم ير الماء من ورائها، لكن قوارير الجنة بياض الفضة وشفاء القوارير».

❖ وَحُدَّامِ الْجَنَّةِ أَوْ الطَّائِفُونَ قَدَّرُوا مَا يُسْقَى بِهِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ فِي الْقَوَارِيرِ تَقْدِيرًا عَجِيبًا، لا نقص فيه ولا زيادة، كما يريدون وكما يشتهون؛ فإن انتهى الواحد منهم نصف كوب جاءه نصف كوب، وإن انتهى أقلُّ أو أكثر جاءه على التقدير كما يشتهي؛ أو أنهم قَدَّرُوا الأذواق والمقادير تقديرا بديعا، بحيث يتفننون في السقي حسب حاجة المسقي له واشتهائه؛ وهذا من تمام التَّعْمُّ، ومن خصوصيات الجنة.

❖ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِرْجَاهَا زَنْجَبِيلًا﴾: الزنجبيل نباتٌ

من أصل آسيوي صيني وهندي، وكانت العرب تستلذُّ من الشراب الممزوج بالزنجبيل، وشُربه من علامات الترف عندهم؛ فوعد الله تعالى المؤمنين أن يُسقوا من ماء الزنجبيل في الجنة، وبخاصة أنهم غالباً قد حرموا منه في الدنيا؛ ولا تعارض من كون الشراب ممزوجاً بالكافور، وبالزنجبيل، وبالمسك... لأنهم من جميع ذلك يُسقون، ومن غيره مما لا يعلمون.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾: السلسيل وصفٌ مشتقٌ - على غير قياس - من السلاسة أي السهولة واللين؛ وقد يكون اسماً أعجمياً سماعياً؛ والماء السلسيل هو الماء العذب البارد المُساع، فهو سهلُ الشرب وفيرُ الجري ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: 12]. وأوصاف عيون الجنة كثيرة، ولكل عين خواصٌ تزيد للمشهد جمالاً ورونقاً.



التشغيل والتفعيل

قال المناوي: «ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلاّ الأسماء؛ وأمّا المسّميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر؛ فمطاعم الجنة ومناكحها، وسائر أحوالها، إنما يشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات؛ وتسمّى بأسمائها على منهج الاستعارة والتمثيل ولا يشاركها في

تمام حقيقتها». فالآنية، والأكواب، والقوارير... وغيرها، إنما هي أسماء لمسميات مختلفة تمام الاختلاف عن التي نعرفها في الدنيا، ولعلّ الجامع بينها هو الاسم والوظيفة فقط، ولا شيء غير ذلك.

❑ في صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرّمها في الآخرة»؛ وفي رواية لمسلم: «ومن شرب الخمر في الدنيا، فمات وهو يدمنها، لم يتب، لم يشربها في الآخرة» ولا خلاف أنه إذا تاب وغفر الله له، فإن الإسلام جُبّ لما قبله، والتوبة تمحو السيئات كلّها.



• من الفكر إلى الفعل

• المسلم يتحرّى المأكل الحلال، والمشرب الحلال؛ والحرام يمنع استجابة الدعاء: «إِنَّ اللَّهَ طيب لا يقبل إلا طيباً، وَإِنَّ اللَّهَ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُدّي بالحرام، فأنتى يُستجاب له؟».

• للقراءة: «المنهاج شرح مسلم بن الحجاج» يحيى بن شرف النووي؛ و«شرح النيل وشفاء العليل» امحمد بن يوسف اطفيش.



قال الله تعالى:

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

بذور المعنى

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: صيغة أخرى من الطواف للسّقي ومناولة الأكل وسائر الخدمة؛ والولدان جمع وليد وهو الصبي؛ وأحسن ما يتخذ للخدمة الولدان في عرف الناس، لخفتهم وجمال حركتهم ووفائهم؛ وصفوا أنهم مخلصون لئلا يظنّ أنهم سيكبرون ويشيخون، وإنما هم ولدان أبدا ودائما.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾: شبّهوا باللؤلؤ المنثور للصفاء وحسن الوجوه، ولكونهم في منظرٍ جميل حين التفرّق، والمنثور هو المتفرّق والمشتت، وفيه إشارة إلى الكثرة في العدد، وسلاسة الحركة، وجمال المنظر؛ ما يجعل مجالس أهل الجنة غايةً في الحسن والتنعم.

- ❏ والخطاب في الآية للنبي ﷺ، ولكل مؤمن تالٍ لكلام الله تعالى، مبشّر بالجنة لإيمانه وعمله الصالح.
- ❏ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا﴾: هنالك في الجنة إذا رأيتَ وأمّعت النظر، ترى نعيمًا ومُلَكًا لا تقدر العبارة أن تصفه؛ وهو كبيرٌ لا حدَّ لكبره، جميل لا حدَّ لجماله، بديع لا حدَّ لبداعته؛ يكفي أن الله تعالى وصفه بالكبر. ومن معاني الكبر أنه لا متناه في الحجم، ودائم في الزمن، ومنه أن الملائكة تخدم المنعم، وأنه لا حصر لأنواعه وأشكاله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: 25].



التشغيل والتفعيل

- ❏ لا داعي للجدل عن ماهية الولدان: أهم أطفال المسلمين؟ أم أطفال الكفار؟ أم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فوضِعوا في هذا الموضوع؟ أم أنهم ليسوا من أهل الدنيا، وإنما خلق من خلق الجنة؟ إذ لا يقين في أمور الغيب إلاّ بنصّ قطعيّ، ولا نصّ في هذا الشأن.
- ❏ لا شك أن السياحة باعتبارها موردا من موارد الاقتصاد، تحمل في طياتها الكثير من الضرر، وتبلو الناس في كرامتهم وعرضهم، وفي أبنائهم وبناتهم؛ ومن ثمّ وجب

التفكير في بدائل، هي الآن مستعصية، حتى ولو انتشر ما يُعرف بالسياحة الإسلامية، إلا أنَّ الكثير منه مخالفٌ لتعاليم الدين، مخلٌ بقواعد الحياء.



• من الفكر إلى الفعل

• من مآثور الدعاء عن رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل؛ وأعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً أو أكون بك مغروراً. اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

• من شاء أن يكون مع الأبرار المنعمين في الآخرة، فليعدّ العدة لذلك في الدنيا؛ قال رسول الله ﷺ: «إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه بعد موته».



قال الله تعالى:

عَالِيهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ
سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾

بذور المعنى

- ❖ ﴿عَالِيهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: رواية ورش عاليهم (بياء ساكنة)، ورواية حفص عاليهم (بفتح الياء)؛ الذي يعلوهم من اللباس والثياب مُعدٌّ من سندسٍ أي من ضربٍ رقيق من الحرير والديباج.
- ❖ والسندس معرَّبٌ أصله من بلادِ السند؛ والسندس ضرب من الثياب والبرود اليمانية. وبلاد السند جزء من الهند وباكستان. وهذا الحرير أخضر اللون.
- ❖ والاستبرق حرير خشين غليظٌ، وهو معرَّبٌ من الفارسية، ويكون لونه أحمر. وجمال الحرير الممزوج بين رقة

وغلظة، وخضرة وحمرة؛ مما لا يخفى على متفكّر بصير ذواق للفنّ.

❏ ﴿وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾: الأساور جمع سوار، وهو ما استدار من ذهبٍ وغيره، وجُعِل للزينة حول المعصم أو الزند؛ والأساور تكون من فضّة كما في هذه الآية، ومن ذهب كما في قوله تعالى: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: 31] والجمع بينهما فيه مزيد حسنٍ وجمالٍ، ولا ريب أنّ لهم أساور وحلي مما لا يخطر على قلب بشرٍ، ومما لا نعرف اليوم في دنيانا.

❏ ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: نسبة السقي إلى الله تعالى إظهاراً لكرامتهم، أي الله سبحانه وتعالى لمزيد التكرم بهم أمر بسقيهم، واستضافهم، وكرمهم، وأعلى من شأنهم؛ ثم نسب السقي لذاته العلية.

❏ والشراب الطهور هو النزيه من الخبث؛ وقد يقول قائل إنّ الشراب الممزوج بالكافور أو بالزنجبيل فيه نوع من الحموضة قد تدفع صاحبها إلى الغول أو الهذيان؛ وأجيب بأنّ شرابهم طهورٌ، وليس بين شراب الدنيا وشراب الآخرة من شبه إلاّ الاسم؛ والوصف للخمر كذلك أنه ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصفات: 47].

❏ ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾: يقول لهم ربهم، وقد أكرمهم، ونعمهم: هذا جزاءُ إيمانكم وصدقكم ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾،

﴿عَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

❏ و«كان» تشي بأنهم استحقوا هذا الجزاء في الدنيا، وجوزوا على إيمانهم وعملهم الصالح الذي تحلوا به في الآخرة، يوم كانوا مخيرين لا مجبرين؛ فجزاهم الله خير الجزاء **وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**.

❏ **وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا**: سعيكم وعملكم في الدنيا كان سعيًا مشكورًا، وهذا جزاؤه في الآخرة، ولقد صدق وعدي الذي وعدتكم، ووجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؛ وإذا جاء الشكر من الله تعالى فهو مطلق الخير، وهو مطلق المدح للمشكور ساعيًا كان أو غير ساعٍ.



التشغيل والتفعيل

❏ «كوكاكولا هي الأكثر استهلاكًا بين المشروبات الغازية على مستوى العالم؛ ويصل دخلها السنوي إلى 58,5 مليار دولار! ثم في المرتبة الثانية تأتي بيبسي، حيث تحصد إيرادات تصل إلى 19,4 مليار دولار وتنفق حوالي 2,4 مليار دولار سنويًا على الإعلانات». وكثير من البلاد الإسلامية تستهلك كميات معتبرة، وتنفق أموالًا خيالية على هذه المشروبات، مع ما فيها من ضررٍ وآثار صحية وخيمة.

❏ ترتيب الدول الأكثر إنتاجًا للحبر عام 2014م؛ كالآتي:

المركز الأول الصين، ثم الهند، ثم أوزباكستان، ثم تايلاند، ثم البرازيل، ثم في المركز السادس الفيتنام، ثم كوريا الشمالية، ثم إيران في المركز الثامن. ويلاحظ أن أغلب الدول آسيوية، ودولة واحدة من أمريكا الجنوبية، ولا نجد أي دولة من أوروبا أو إفريقيا أو أمريكا الشمالية.



• من الفكر إلى الفعل

• أليست مثل هذه الآيات باعثة للمسلمين أن يهتموا بالصناعات من مثل: صناعة القماش والحريير واللباس بديلا عن تحكم الغرب في صناعة اللباس غير المحتشم، وصناعة المشروبات الصحية عوضا عمّا غزا العالم من مشروبات محرمة أو مضرّة بالصحة؟

• للقراءة: «كتاب الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها» عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت. ٢٧٦هـ)؛ «الشراب الطهور من مولد وسيرة بدر البدور» عمر بن حفيظ بن سالم.



قال الله تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ بَعْثًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

بذور المعنى

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾: هذا القرآن الذي بين يديك يا محمد، وما ورد فيه عن أحوال الأتقياء والأشقياء، ومن أوامر ونواهي، ونزوله منجماً في مُدد متباينة؛ جميع ذلك نحن لا غيرنا، نحن: ربُّك وربُّ العالمين، العليم الحكيم، ملك كلِّ شيء و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ نحن الذين نزلنا عليك من السماء وحياً يُتلى، هو هذا القرآن، نزلناه تنزيلاً بليغاً.

وفي ثنايا الآية تهديدٌ شديد اللهجة لمن تُسَوَّل له نفسه أن يشك في القرآن، أو يقول فيه ما لا يليق، أو يكذب بما جاء

به من حق؛ وفيها تكريم للنبي ﷺ الذي نزل عليه القرآن من ربه تنزيلا.

❖ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لا تستعجل النصر، واصبر لما يبدو لك من أمرٍ وحكم، ومن حواجز وموانع تقف أمام دعوتي، ومن إمهالي للمشركين ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62]؛ وضع «يا محمد» تقديرك وحسابك وتوقعك بين يدي الله تعالى، فهو الذي يعلم وأنت لا تعلم، وهو السميع البصير، العليم القدير.

❖ ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ بَعْثًا أَوْ كُفُورًا﴾: من تمام صبرك أن لا تطيع من كان آثما كثير الإثم، كفورا شديد الكفر؛ ممن بالغ في الجحود والظلم والنكران؛ وليس من الصبر أن تستسلم لأمره، أو تطيعه، أو تقف إلى جنبه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: 1]، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: 10]، والأمر كذلك موجه لجميع المسلمين: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: 151].

❖ قيل الآثم في الآية هو عتبة بن ربيعة، والكفور هو الوليد بن المغيرة؛ لأنَّ عتبة كان ممن يبالغ في أنواع الإثم، والوليد ممن يبالغ في ألوان الشرك؛ والعبرة من ذلك أن لا يخضع الحق لباطل، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: قد يكون الذكر هنا بكرةً وأصيلاً يعني صلاة الفجر وصلاة العصر؛ أو مطلق الذكر في وقت البكر، ووقت الأصيل؛ أو في كامل الأوقات وعموم الأزمنة؛ عبّر عنه بـ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾. وذكر اسم الله تعالى ذكرً له ولصفاته جل جلاله، وتعالى شأنه؛ وفي ذكره طاعة له وعصيان لمن كان آثماً أو كفوراً، ومن أطاع الكفار والآثمين انتفى أن يذكر اسم الله، فكان هذا مانعاً من ذلك، وذلك مانعاً من هذا.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾: قد يكون المعنى صلاة الليل من مغرب وعشاء؛ أو داوم على عبادة الله تعالى وقتاً طويلاً من الليل، كما ورد في سورة المزمل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا...﴾ الآيات. وتخصيص السجود في الحركات، والتسبيح في الأقوال؛ لأنَّ الأول ذروة أفعال العبادة، والثاني ذروة أقوال الذكر.



التشغيل والتفعيل

﴿إِذَا قِيلَ «لَا تَتَّبِعِ الظَّالِمَ» فَالْأَمْرُ مَوْجَّهٌ لِحَرَمَةِ اتِّبَاعِهِ فِي ظُلْمِهِ، أَمَّا إِذَا جَاءَ بِالْحَسَنَةِ وَبِالطَّاعَةِ فَاتِّبَاعٌ مَا أَحْسَنَ فِيهِ وَأَطَاعٌ جَائِزٌ، لَا لِدَاتِهِ وَلَكِنْ لِدَاتِ الْحَقِّ «وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ».

﴿وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ وَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ جيء بـ(أو) عوض (و) لأنه

لو قيل آثما وكفورا، جاز أن يطيع أحدهما؛ وإذا قيل لا تطع أحدهما كان النهي عن طاعتها جميعا أو كد؛ ولأنه قد يكون أحداً آثما وليس كفورا، وقد يكون كفورا محترزا من المآثم لخلق فيه؛ فجاء النهي عن أن يطاع الآثم، وأن يطاع الكفور.



• من الفكر إلى الفعل

• طاعة الآثم والكفور اليوم تتلبس بلبوس العصر، وتتعمم بعمامة العولمة، وتفرش بساط حقوق الإنسان، وتتغطى بدعاوى الديمقراطية وحرية الإنسان؛ فهي لا تأتي مباشرة: «أن يطيع مؤمن كافرا»، ولكنها بتغيير الأسماء والعناوين، ضربت في العمق وفي الصميم.

• الحفاظ على الصلاة وعدم طاعة الطغاة متلازمان؛ فمن ضيع صلاته كان لحقّ الله أضيع، ومن حافظ على صلاته كسب الكرامة من ربه، وانتفى أن يطيع الآثم والكفور من عباد الله.

• للقراءة: «حقوق الإنسان بين الإسلام وغبش الفقهاء والحكام»، و«الكلمة أقوى من الرصاصة: في الجهاد السلمي» أبو بلال عبد الله الحامد (المؤلف رهين السجن السياسي منذ 2013م في بلده).



قال الله تعالى:

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾
تَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ
تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾

بذور المعنى

- ❖ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: هؤلاء الكفرة الذين نهيت أن تطيعهم، وأن تصبر على أذاهم؛ هم على نقيض منك: فهم قوم يؤثرون الدنيا، وكل ما هو عاجل، على الآخرة، وجميع ما هو آجل؛ مثل الأطفال يستعجلون ما يمتعهم ولو كان قليلا، على حساب ما ينفعهم حين يكون مؤجلا.
- ❖ والتعبير بالحب، لأنَّ الحبَّ لا منطَق له، وهو ميول قلبي لما تحبُّ، وقد يكون مع الحبِّ القلبي ميولٌ عقليٌّ فيسمى «حبًّا عقليًّا»، وقد يكون بغيره.

﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: أي لا يعتبرون اليوم الآخر في حُبِّهِمْ وَبُغْضِهِمْ، في فعلهم وقولهم، وإنما يتناسونه وَيُبعِدُونَهُ، ولا يُؤْمِنُونَ به أصلاً؛ ويوم القيامة هو يومٌ ثَقِيلٌ لشدته، ولأنهم يكونون فيه مثقلين: ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّعْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: 40].

﴿وَنَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: الأسر هو الربط والتوثيق، وإذا وَضِعَ الإِسَارُ على مفاصل الرجل سمي أسيراً، واستعير للِسَجِينِ عَامَّةً، حتى ولو لم يكن عليه إِسَارٌ وربطٌ ووثاقٌ؛ والأسر كُلُّهُ شَدِيدٌ على المرء، ولكن إذا كان الأسر من الله تعالى، ووصف بأنه شَدِيدٌ، فهذا هَوْلٌ ما بعده من هَوْلٍ، ومحنةٌ ما فوقها من محنة.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: ولو شِئْنَا لذهبنا بهم ولآتينَا بمن يطيعنا، ولكنَّا لم نفعَل، ولقد تركناهم لخيارهم، وسيكون الحساب يوم الحساب، والجزاء يوم الجزاء؛ وفي الآية تلميح عجيب أن الله تعالى أَمَرَ رسوله بالصبر وعدم الاستعجال، وضرب له مثلاً بذاته سبحانه، وهو أنه جل جلاله صَبَرَ على كفرهم، وهو خَالِقُهُم ورازقُهُم، ومحبيهم ومميتهم؛ فأولى به ﷺ وبالْمُؤْمِنِينَ أن يتخلقوا بأخلاق الله تعالى.



التشغيل والتفعيل

❖ ما هي الأغراض التي يؤديها المفعول المطلق؟ وما هي المعاني الإضافية التي يلقي بظلالها على مدلول الآية؟ هذا بعد اعتبار ما ذكر عنه من أغراض: الطلب، والتأكيد، والدعاء... وغيرها. الموضوع للبحث. وصيغة «تبديلاً» مفعول مطلق لـ «بدّلنا»، وقبلها «تنزيلاً» مفعول مطلق لـ «نزلنا».

❖ الدليل على مراتب الحبِّ حديث عمر رضي الله عنه: «عن عبد الله بن هشام قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنّ أحبُّ إليّ من كلّ شيء، إلّا من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنّ أحب إليّ من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: الآن يا عمر» (رواه البخاري).

❖ يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «ثمرّة الدين سعادة الدنيا والآخرة، كليهما؛ وقد غفل عنه المفسّرون الذين يعارضون أمثال هذه النصوص؛ بما جعلوه أصلاً يرجعونها إليها بالتأويل، كأحاديث ذمّ الدنيا وتسميتها «سجن المؤمن، وجنّة الكافر»؛ وما يصحّ منها كهذا الحديث فهو محمولٌ على النسبة بينهما، بالإضافة إلى حال كلّ منهما، في الدنيا والآخرة».

من الفكر إلى الفعل

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن» قال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكرهية الموت».

والحديث يجمع بين معاني سياق الآيات: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْقَلُنَا...﴾ هو الوهن؛ ﴿يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ...﴾ هو «حب الدنيا وكرهية الموت»؛ فهما إذن متلازمان لا ينفصلان ولا ينفكان.

للقراءة: «تفسير المنار» محمد رشيد رضا.



قال الله تعالى:

إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

بذور المعنى

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: هذه السورة، أو هذه الآيات المذكورة من قبل قريباً، أو الآيات القرآنية كلها، لكونها متناغمة مع منطق الإنسان، ملائمة لفطرته؛ تذكرة وتذكير؛ وهي تدعو إلى الذكر وتحرك في الإنسان العبرة؛ فمن اختار الخير لنفسه، وشاء النجاة؛ جعل إلى الله تعالى واسطة وطريقاً سالكة مؤدية، هي طريق الإيمان والطاعة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: وأي شيء تشاءونه، وأي أمر تريدونه، يكون كما اخترتم؛ ولكن اعلّموا أنه لا يخرج عن مشيئة الله تعالى، وإذا شاء سبحانه أن لا يكون لم يكن، وإذا

شاء أن يقهركم قهركم؛ وحتى اختياركم بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين رضاه وسخطه، لا يخرج عن ملكه وحكمه، وقضائه وقدره.

❖ وهذا المعنى مما يقف العقل عند عباته، ولا داعي للجدل حوله إلى حدّ التضليل والتبديع والتفسيق؛ والجميع من المذاهب الإسلامية المعتبرة والمعتدّ بها، إنما يجتهد في إصابة الحق، وبلوغ الفهم إلى مراد الله تعالى؛ والخطأ بعد ذلك عن علم واجتهاد، لا عن هوى وادعاء.

❖ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: الله تعالى عليم بأحوال الناس، حكيم في اختياره للناس هذه الصيغة من الابتلاء، وتقسيمه وجود الإنسان إلى دنيا وآخرة، ودار عمل ودار جزاء؛ هو عليمٌ مطلقاً، حكيمٌ مطلقاً؛ قد يدرك العقل ذلك وقد لا يدركه.

❖ ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: من استعدّ للرحمة، وعمل بمقتضاها، فقد أراد الرحمة والجنة، وابتغى الرضا من عند الله تعالى؛ فإنّ جزاءه أن يُدخله الله تعالى في رحمته في الدنيا بأن يوفّقه ويهديه ويكلّأه بعنايته؛ وفي الآخرة بأن يُدخله الجنة وقد عرفه بها، ووصفها له في ثنايا هذه السورة وغيرها.

❖ ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: لكن الصنف الثاني، وهم الكفّار؛ فإنّ الله تعالى أعدّ وحضّر لهم يوم لقائه، ويوم

يلقونه، ويوم يحشرون ويحاسبون، أعدّ لهم عذاباً أليماً، وجهنم شديداً ألماً. وهذه الآيات والتي قبلها تفسير لما ورد في بداية السورة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، فكأنه قيل: إن كان شاكرًا أدخله الله في رحمته، وإن يك كافراً فقد ظلم نفسه، وجزأه جهنم وعذاب أليم. اللهم نسألك رحمتك ورضاك، ونعوذ بك من سخطك ونقمتك.

❖ وختم السورة بالوعيد، رغم أن السورة أغلب ما فصل فيها هو الوعد؛ إعظاماً لجلال الله تعالى، وتحذيراً من الوقوع فيما يحرم من ذلك المال الحسن.

❖ لقد كانت نهاية السورة توعداً للظالمين المكذبين، وهي تمهيداً للسورة الموالية، سورة المرسلات، التي تنسج على وقع ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ وهي تتكرر وتقرع آذان وأسماع من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ أمّا من كان على أذنه وقراً، فهو معرض عنها، أصم أبكم أعمى؛ إلى أن يلقاه العذاب الأليم يوم القيامة وقد كان من الغافلين.



التشغيل والتفعيل

❖ هذه الآيات أشكلت على المذاهب في قضية «فعل الإنسان بين الجبر والاختيار» وهي مسألة كلامية قديمة، تعود إلى عهد رسول الله ﷺ حيث سأل الصحابة عن العمل والقدر، فأجابهم عليه السلام: «اعملوا؛ فكلُّ ميسرٌ لما خُلِقَ له» (رواه

الشيخان)؛ ولم تتعقد القضية إلى مستوى الجدل، بل حلت لوجود رسول الله عليه السلام؛ لكنها مع مرور الزمن صارت مجال جدال بين المذاهب الإسلامية؛ فانقسمت إلى قائلين بالجبر وقائلين بالاختيار، وتولّد موقف وسط يقول بالكسب والجبل.

الذي أشكل هو أن الآية الأولى تنسب للإنسان مطلق المشيئة: ﴿فَمَنْ شَاءَ... وَمَنْ شَاءَ﴾، ثم تأتي الآية الثانية لتردّ جميع المشيئة إلى الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. ولعلّ «القابلية للاعتراف» بعجز العقل عن حلّ هذه المسألة، هو الكفيل بحلّها؛ ذلك أنّ شرطاً منها، وهو «إرادة الله تعالى» غير واقعة تحت إدراك الإنسان، ثم التقاطع بين القدرتين من باب أولى؛ فيبقى القول فيها مختلاً من وجوه، والاختلاف فيها غير مبرّر؛ وحلها عند رسول الله ﷺ: «اعملوا». فبالعمل تحلّ هذه المسألة الكلامية، وحين يخفّ العمل يطفو الجدل، وتملأ الكتب التناقضات، فتتخلف الأمة بسبب كسلنا، ويدبُّ في الأمة داء الأمم: «الوهن».



• من الفكر إلى الفعل

• قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿هَلْ آتَى﴾ كان جزاؤه على الله جنة وحريرا».

• المخرج من الجدل الكلامي الذي لا نهاية له يكمن في التفكير في «العمل»، وفي المؤدى العملي للجدل؛ فإن لم يكن مما يورث عملا كان من قبيل «التفكر في الله» وقد يؤول بصاحبه إلى الهلاك؛ والأصل أن تتحرك العقول إلى التفكير في خلق الله، وفي حال الأمة، وفي النصره والتمكين...

• في حاشية القناطر: «لا يسأل عما يفعل... فالله لا يظلم الناس؛ فما بقي إلا أن نسلم أن الله لا يسأل عما يفعل، ولو لم ندرك» وقوله ولو لم ندرك فيه فتح منهجي، مما أطلقنا عليه مصطلح «القابلية للاعتراف» بحدود الإدراك البشري، ومساحة المجهول عندنا أوسع من مساحة المعلوم، والخوض في الغيب بلا دليل قطعي هو خوض في مساحة جهلنا، ما كان ينبغي.

• للقراءة: «حاشية قناطر الخيرات» امحمد بن يوسف اطفيش. «آراء الشيخ اطفيش الكلامية» مصطفى وينتن.



قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ② وَالنَّاشِرَاتِ دُثْرًا ③
فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا ④ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ⑤ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑦

بدور المعنى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: سواء أقسم الله تعالى بالملائكة أم بالرياح المرسلات، فإنَّ المؤدَّى واحد وهو أنه لا ريب في وعد الله ووعيده ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، وإنَّ أمر الكون سيضطرب لقيام الساعة، وسيكون أمر الكافر في «ويل وثبور» وفي أمر مريح، وسيقال له: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفُصْلِ﴾؛ أمَّا المؤمن فيكون في نعيم مقيم، ويقال له: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ برحمتنا، فأنا الرحمن الرحيم. وإذ لم يؤمنوا بكتاب الله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾!؟

❖ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾: اسم السورة المرسلات، والمرسلات هي الرياح التي أرسلت وتتابع، أو هي الملائكة المرسلة من رب العزة إلى مهامها في الكون؛ وأجواء السورة كلها حركة في عالم الأفلاك، وحركة في عالم المعاني، وحركة من الدنيا إلى الآخرة، وحركة بين الجنة والنار؛ في إيقاع سريع لا يترك مجالاً لأحد أن يتنفس أو يتوقف، وإن هو فكر في الركون أو الخمول اقتلعتة الرياح المقسم بها فلا يبقى له أثر، أو اخترمته الملائكة فلا تبقى فيه شيئاً ولا تذر.

❖ المرسلات: اختلف في تفسيرها وفي معاني ما يليها من المقسم به اختلافاً شديداً؛ فقليل المرسلات هي الرياح المتتابعة والعرف يكون بمعنى التابع، وأصله الشعر النبات على عنق الفرس، ويشبهه به التابع، فيقال: جاؤوا كعرف الفرس.

❖ أو المرسلات هي الملائكة التي يرسلها الله تعالى من جملة ملائكة الوحي، فيكون معنى العرف أنه نقيض النكرة؛ فالملائكة معروفون لا ينكرهم أحدٌ إلاً جاحدٌ، وإن لم يكونوا معروفين للكفار فهم معروفون للأنبياء والمؤمنين من كل دين.

❖ ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾: إذا كان القسم بالملائكة، فهو تشبيه لهم بالرياح العاصفة السريعة، أي أقسم بالملائكة الذين يرسلون متتابعين، فيسرعون في سيرهم كالرياح العاصفة.

فهم لا يتشاقلون ولا يتلكؤون، بل هم لأمر الله تعالى يستجيبون ولا يعصون، ويسرعون ويجتهدون.

❖ وإذا كان القسم بالرياح، فلقد أقسم الله تعالى بحركتها المهيبة، والعصف اشتداد الهبوب، وهي كذلك تعصف بالنبات وبكل شيء فتجزئه وتقتلعه.

❖ ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾: في سياق الوحي، تكون الناشرات الملائكة التي تنشر الوحي، والمراد بالنشر نشر الصحف. وإذا أريد بما سبق الرياح، فالناشرات هي الرياح النُشور، أي التي تأتي من كل مكان، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نَشْرًا مِّبَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57].

❖ ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾: أي الوحي والصحف المنشورة التي تفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام؛ والفاء تجيز تحول المعنى من الرياح إلى الملائكة، أو هو تفرغ في موضوع الملائكة من أول السورة إلى نهاية القسم.

❖ ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾: أي الملائكة التي تلقي الذكر والقرآن بقراءته على النبيء محمد ﷺ، أو تلقي مطلق الوحي، فتقرأه على الأنبياء الموحى إليهم جميعاً. واضح أن هذه هي الملائكة، ولا يمكن أن تفسر بالرياح، إذ لا علاقة بين الرياح والذكر.

❖ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: أي مما جاء من موضوع الوحي المنشور الملقى من الملائكة مقصداً الإعذار والإنذار، فهو ينذر

غير المؤمنين، ويكون عذرا للمؤمنين. أو ليكون عذرا من الله تعالى لعباده: ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164].

❖ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾: جواب القسم، أي إن الله تعالى أقسم بجميع ما مرَّ من المرسلات، والعاصفات، والناشرات، والفارقات، والملقيات؛ أقسم به أن ما يوعدُ الناس حقيقٌ وواقعٌ لا ريب فيه: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَٰرِيْبٌ فِيهَا﴾ [الكهف: 21]. فالوعد بالحسابِ والثوابِ والعقابِ لا بدُّ واقع: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103].



التشغيل والتفعيل

❖ باب الوعد والوعيد من أجل أبواب علم الكلام، ولقد بسط في القرآن الكريم أصول الإيمان به؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [القصص: 13]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: 6]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ﴾ [آل عمران: 9].

❖ حجة ما أقسم عليه الله تعالى من أمر الميعاد متضمنة في المقسم به، وفي فعل القسم نفسه؛ وهذا من بديع أسلوب القرآن، ومن تمام رحمة الله تعالى بعباده. فالبعث واقعٌ وحقٌّ، وحجته أنه جاءكم خبره مع الملائكة، وحمله الله تعالى الوحي والكتب السماوية والصحف؛ فلا عذر لكم

عند الله تعالى بعد ذلك .

❖ لا يكون القَسَمُ إلا بالله وباسم الله تعالى؛ فلا يجوز أن يقسم أحد بغير الله جل جلاله، وهو سبحانه يقسم بما يشاء وبمن يشاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]؛ والله تعالى أقسم بمخلوقاته الدالة على قدرته تعظيما له تعالى لا لها، وإن كانت عظيمة بمقاييس المخلوق لا الخالق.

❖ روي أن النبي ﷺ أدرك عمر رضي الله عنه، وهو في ركب، وهو يحلفُ بأبيه، فقال له النبي: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمُ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أَوْ لَيْسَ كَتَّ». قال عمر: «فما حلفت بها بعد ذلك ذاكرا ولا آثرا» [رواه النسائي].



• من الفكر إلى الفعل

• صرّح البعض بشرك من حلف بغير الله تعالى، استناداً على حديث حملوه على ظاهره؛ وفي الحكم على الإطلاق مبالغةً وتشدُّدٌ؛ قال النووي في الروضة: «الحلف بغير الله مكروه»، وقال الشافعي: «أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية».

• لا يجادل أحد أن من حلف بمخلوق تعظيماً لذلك المخلوق فقد أشرك؛ ولكن من حلف بمخلوق قاصداً تعظيم الخالق، فلا يبلغ في الحكم حقيقة الكفر والشرك.

• قال الراسخون في العلم: «إن أراد بالحلف التعظيم، كتعظيم الله تعالى فهو شرك، وإن أراد بالحلف التأكيد كما هي عادة العرب فليس بشرك».

• للقراءة: «الأم» محمد بن إدريس الشافعي؛ و«روضة الطالبين وعمدة المفتين» محيي الدين بن شرف النووي.



قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ 8 وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ 9 وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ 10 وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ 11 لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ 12 لِيَوْمِ الْفَصْلِ 13 وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الْفَصْلِ 14 وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ 15﴾

بذور المعنى

﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: الطمس محو ذات الشيء ومحو أثره؛ أي مُحيت النجوم ومحقت، ومُحِيَ نورها فاستحال ظلامًا دامسًا؛ ونظيره: ﴿وَإِذَا التُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2] أظلمت وذهب نورها، ﴿وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2] توزعت وتبعثرت. والجمع بين هذه الآيات يجلي وصف حال النجوم عند قيام الساعة، ومراحل تقلبها إلى أن تتبخَّر وتلاشى.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: فُرِجَت السماء أي فُتحت وانشقت، وقد كانت قبل محروسة محكمة لا نفوذ منها ولا أبواب، وكانت ذات حبيك؛ ثم لأهوال القيام ﴿وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ

أَبَوَابًا ﴿[النبأ: 19].

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفتَ﴾: نَسَفَ الشَّيْءَ اقْتلعه من الأَصْل، وهدَّمه وفتته: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: 105-106]، ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: 5-6].

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتْ﴾: أَقَّتْ ووقَّت الأمرَ ضبطه بوقتٍ معين معلوم؛ والرسل التي تشهد على أممها يعين لها وقت لإدلاء الشهادة، إيدانًا بحلول يوم الحساب؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾؟ [المائدة: 109].

﴿لَأَيَّ يَوْمٍ أَجَلْتِ﴾: هذا اليوم هو يوم الحسم والفصل؛ وتعظيمًا لشأنه جاء السؤال التقريري؛ مفيدًا أن هذه الأحوال المذكورة آنفًا، وشهادة الرسل التي أقتت، قد أجلت وأمهلت لهذا اليوم العظيم.

﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾: بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يتم فيه الفصل بين الناس، وبين الخلائق، وينال كل مخلوق ما وُعد به، وكل إنسان جزاء ما عمل، وكل ذي حق حقه، بلا ظلم ولا حيف: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 17].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: ما أعلمك وما أعرفك بعظم هذا اليوم، الذي هو يومٌ للفصل بين الناس، وهو يوم الجزاء؛ ذلك اليوم المؤجل إلى حينه وأوانه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: هو تهديد من الله تعالى، متعلق بذلك اليوم العظيم؛ وفي الآية دعاءً على المكذبين من العباد، وتقديرٌ حقيقةً متيقنة، وأمرٌ نافذ من الله تعالى، أنهم سينالون الويل والثبور يومها. والدعاء استغنى به الله تعالى عن ذكر جواب (إذا) في قوله: ﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، وكان يُنتظر الجواب، فجاء الدعاء بدلا عنه وفي محله.

وصيغة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ستكرر في السورة تسع مرات، وفي كل مرة تستعير ظلالَ سياقها، وتحمل معاني متجددة حسب ما يرد قبلها وبعدها، ولذا تفسر تفسيراً مختلفاً عن غيرها.



التشغيل والتفعيل

أحوال الكون عند قيام الساعة مصدره الوحي، ولذا كانت محلّ تسليم لا محلّ ملاحظة وتجريب؛ أمّا علم كيفية ذلك، أو إثباته بالدليل العقلي التجريبي دون الدليل السمعيّ الخبري فهو مما يستحيل، ويندرج خارج إطار العلم البشريّ، لا سبيل للملاحظة والتجريب فيه؛ وإنما يقابله البعض بنظرياتٍ فلكيةٍ، فيصدّقون أو يكذبون ما جاء به الوحي؛ علماً أنّ النظرية لا ترقى إلى غلبة الظن، ومن باب أولى لا ترقى إلى اليقين؛ فهي مجرد افتراض له قدرة التعميم والتفسير؛ أمّا وحي الله تعالى فيتجاوز العلم

مجرداً، إلى الحق مسنداً إلى ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.



٥٠ من الفكر إلى الفعل

٥٠ عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث».

٥١ وفي حديث عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر».

٥٢ ومن أعظم إشكالات العصر التي يجب معالجتها أن الغيب لم يعد يعني المنظومة المعرفية في شيء، ويُعتبر من قبيل الخرافة في المذهب المادي الإلحادي المؤسس للمعرفة البشرية. ومن أعظم الجهاد تصحيح ذلك بعلم وعمل، وهذا مدلول الجهاد بعينه.

٥٣ للقراءة: «دليل الحائرين: خريطة معرفية لقراءة ونقد المذهب العلموي والمادي» إيرنست شوماخر.



قال الله تعالى:

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

بذور المعنى

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾: استفهام إنكاري؛ أي لقد أهلكنا الأولين، وأنتم تعلمون ذلك، ولقد رأيتم ما حلَّ بقوم نوح وعاد وثمود، وغيرهم من الأمم السابقة من الأولين؛ وفي سورة الزخرف قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 8].

﴿ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ﴾: ثم يتعمق السؤال مستنكرًا: ألم نُنْبِئِ هلاك الأولين بهلاك الآخرين من بعدهم؟ ممن تعرفون من الأمم القريبة منكم، كقوم لوط، وقوم موسى: فرعون ومن كان معه، وقوم عيسى كذلك.

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: فإذا أجيب بنعم، والجواب لا بدَّ

أن يكون بالإيجاب؛ قيل لهم: «كذلك» بنفس القوة، والوعد والوعيد، ولذات الأسباب سنفعل بالمجرمين في كل عصر ومصر، أو الذين تمردوا حين نزول القرآن، وحين تلاوته في كل مكان وزمان، إلى يوم يبعثون؛ وسنهلكهم بما نشاء من أنواع الهلاك، فإنهم أجرموا: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110].

❖ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: هذا الإهلاك للأولين والآخرين، وإتباع المجرمين بهم، دالٌّ على توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله؛ فهو الله لا إله سواه، وهو الربُّ لا ربَّ غيره، وهو المعبود لا معبود دونه.

❖ ويل للمكذبين بيوم الفصل، وويل للمكذبين بالله الواحد الأحد، وويل للمكذبين بما هو معلوم من تاريخ الأمم وعلاقتهم بأنبيائهم؛ وويل للمكذبين بمحمد ﷺ؛ ولقد أعددنا لمن كذَّب به مصيرا كمصير من كذَّب بمن سبقه، أو هو أشدُّ عذابًا ونكالاً يوم القيامة.



التشغيل والتفعيل

❖ الذي جمع بين الأولين والآخرين هو الإلحاد والتكذيب والانحرافُ الفكريُّ، الذي هو اليوم من أسوأ أنواع الانحراف: شكٌّ، وريبةٌ، وفوضى الأفكار، وفقدان المعنى، وسيولة القيم، واهتزاز الثوابت، وتشبث قوانين جائرة

كمسلمات وقوانين يحرم الخروج عنها...

❖ يُصدّر ناشر كتاب «الميديا والإلحاد» الكتاب بقوله: «في هذا الكتاب يستعرض معنا م. أحمد حسن العديد من أمثلة الوسائل والمغالطات المنطقية المستخدمة في الميديا العالمية اليوم (من أفلام، ومسلسلات، ورسوم متحركة، ومواقع للتواصل الاجتماعي...) لنشر الإلحاد الشعبي، أو إلحاد الهواة كما نسمّيه؛ والذي لا يعتمد على نقاشٍ أو حوارٍ متساوي الطرفين، وإنما التأثير من طرف واحد بالمشهد والصورة والكلمة والعاطفة، وذلك في مقابل غياب الردّ أو التوضيح من الطرف الآخر. ولا شكّ أنّ الوقوف على مثل هذه الوسائل وفهمها ومعرفة كيفية التحصّن منها لهُوَ من أهم طرق الوقاية التي ينبغي تربية النشء عليها وتعريف الشباب بها».



• من الفكر إلى الفعل

• قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ...﴾ الآية، فيها دعوة لدراسة التاريخ، والاستفادة منه، والاعتبار بما كان فيه من هلاك للأمم والأقوام المكذبة بالله تعالى؛ وفيها كذلك علامات لمنهج التعامل مع الماضي لدى الباحث المسلم، وفي فكر كل مسلم.

• في سورة الرحمن علمنا رسول الله ﷺ حين قراءة قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أن نقول: «لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب»؛ ونردد هذا التسليم الإيماني، ونحن نقرأ قوله تعالى: ﴿وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

• للقراءة: «الميديا والإلحاد: السينما واللاوعي: الخطاب الشعبي للإلحاد» محمد أحمد حسن. وقرأ: «سذاجة الإلحاد» ضمن كتاب «أصول الإيمان» مصطفى وينتن ومحمد باباعمي. و«القرآن نسخة من الإنسان» طه كوزي.



قال الله تعالى:

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدْرِ
مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

بذور المعنى

❖ ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: الماء الذي خلق منه الإنسان في بدايته وبداية تشكُّله حقيقٌ مهينٌ لا يُلفت إليه، وهو جزءٌ من ملايين الأجزاء التي ستذهب هباءً منثورًا، ولن يوَلد منها جنين، ولا تتشكل لتصبح بشرًا.

❖ وتفسير المهين بالحقير تفسيرٌ لفظيٌّ قد لا يليق بمقام الخلق؛ غير أن السياق يدلُّ أن معناه «حساس» شديد الحساسية، ولذا ﴿جَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾؛ أو أنه في نظركم واعتباركم هو مهينٌ تستقذرونه، ولو أردتم أن تستفيدوا منه فائدةً لما استطعتم، ولكنه عند الله تعالى عظيمٌ، ذو قيمة، وحقُّه أن يُصان في قرارٍ مكين، ثم يُنفخ فيه الروح، فيكون إنسانًا سويًّا.

❖ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: القرار المكين هو الرحيم: القرار هو موضع الاستقرار، والمكين هو ذو رفعة ومكانة وشأن، أو هو حصين قوي؛ وهي صفة مشبهة من مكن تدل على الثبوت.

❖ ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: إلى وقت معلوم عند الله تعالى، وهو الوقت الذي تتم فيه مراحل الحمل، ويستوي الإنسان كامل الخلقة جسدا وروحا.

❖ ﴿قَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾: أي كل أمر من خلقه قدرناه تقديرا، وهو عندنا بقدر محسوب، معين محدّد بكل المعاني: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 1-3]. وقدّرنا لكل واحد منكم تفاصيل حياته وموته، صحته وسقمه، غناه وفقره، عزه وذله... وهو لا يملك من ذلك شيئا، ولا يملك تقديرا ولا تغييرا لحكم الله وأمره جل جلاله.

❖ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: هذا الذي يبدأ ماء مهينا، ثم يحفظ في قرار مكين، ثم يولد ويعيش، ويقدر الله تعالى له أمره كله؛ أفبعد هذا كله يكذب ثم يكذب؟ إذن ويل يومئذ للمكذبين بيوم الدين، الذين لم ينفعهم ما أنعم عليهم من نعم، ولم يعتبروا بالحفظ الرباني الذي صانهم؛ فلم يصدقوا ولم يؤمنوا، ولكنهم كفروا وكذبوا.



التشغيل والتفعيل

❖ وصفت الآية المنى الذي يخلق منه الإنسان بالماء المهين مرتين في القرآن الكريم، في هذه السورة، وفي سورة السجدة: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8]؛ ووصف "المهين" في كلام الله تعالى تردّد ثمانى عشرة مرّة، وأغلبه جاء وصفاً للعذاب: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

❖ الرحم المستأجرة: حلٌ طبيّ يتمّ اللجوء إليه لمساعدة النساء غير القادرات على الحمل والإنجاب بسبب مشاكل صحّية؛ حيث تتمّ عملية الإخصاب خارج الجسم بتلقيح بويضة المرأة بماء زوجها في المختبر قبل أن تتمّ زراعة واحدة أو أكثر من تلك البويضات المخصبة في رحم امرأة أخرى؛ لتنمو وتستكمل فترة الحمل. ويطلق على المرأة صاحبة الرحم اسم «الأم البديلة»، وعلى صاحبة البويضة «الأم البيولوجية». عندما تلد «الأم البديلة» الطفل تسلّمه للزوجين مقابل مبلغ متفق عليه وقد يصل المبلغ أحياناً إلى ثلاث مئة ألف دولار في أوروبا وأمريكا.

❖ ولا نعرف الحكمة في عدول أسلوب القرآن الكريم من لفظ «المنى»، و«النطفة»، أو «الماء الدافق»، «الماء» مجرداً من الوصف؛ إلى «الماء المهين»؟ وهل هذه الألفاظ مترادفة كلية، أم بينها فروق في الدلالة؟ ولا ريب أنها من

زمرّة مصطلحية واحدة، ولكن ما هي الفروق الدقيقة في
توظيفها، من حيث الأسلوب، ومن حيث حقيقة الدلالة؟



• من الفكر إلى الفعل

• حكم المني في الفقه أنه ليس نجسا مثل غيره مما يخرج من الجسد، أي الدم والبول؛ والمني إذا كان رطباً استحبَّ أن يغسل، وإذا كان يابسا يكفي فيه الفرك؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ»، وفي حديث آخر: «لقد رأيتني أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فيصلي فيه».

• حرّمت المجامع الفقهية استئجار الأرحام (القرار المكين)، منها مجمع الفقه الإسلامي التابع للرابطة الإسلامية، وكذلك المجمع التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والأزهر... ولم يقل بالحليّة إلاّ شواذ لا يعتدُّ بحكمهم. والعديد من الدول تمنعه قانونيا، ومن الدول ما تجيزه قانونيا.



قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿25﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿26﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
شَاحِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿27﴾ وَيُلُّ يَوْمًا لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿28﴾

بذور المعنى

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: الموضع الكِفَاتُ هو الموضع الذي يُضْمُّ فيه الشيء ويُجمع؛ ويقال: جِرَابٌ كِفْتُ إِذَا كَانَ لَا يَضِيعُ شَيْءٌ مِمَّا يَجْعَلُ فِيهِ، وَكَفْتُ الشَّيْءَ أَي ضَمَمْتَهُ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَجَعَلَ الْأَرْضَ «لَوَّاحَةً لِلبَشَرِ»، وَلَوَّاحَةٌ لَمَّا عَلَيْهِ، لِسُرْعَةِ دَوْرَانِهَا، فَتَلْقَى مَا عَلَيْهِ بَعِيدًا فِي الْفَضَاءِ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَحَهَا خَاصِيَةَ الْجَذْبِ لَمَّا عَلَيْهَا، وَخَاصِيَةَ جَمْعِهِ وَتَكْفِيئِهِ؛ إِلَى أَنْ تَظْهَرَ عِلَامَاتُ السَّاعَةِ، فَتَتَغَيَّرُ الْخَاصِيَةُ، وَيَطِيشُ كُلُّ مَا عَلَيْهَا.

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾: ومن معاني الأرض الكفات أنها الأرض التي تجمع الأحياء فوق ظهرها، والأموات في بطنها وباطنها؛ أو هي التي تجمع ما يحتاج إليه الإنسان من

ضرورات الحياة، فاستودعها الله تعالى رزقه ومأكله ومشربه وملبسه وجميع حاجاته.

❖ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ شَاحِحَاتٍ﴾: الرواسي هي الجبال، والشامخات هي العاليات المرتفعات، والجبال الشامخات هي الثابتات؛ لئلا تميد بهم الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: 6-7]، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 32].

❖ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾: الماء الفرات هو الماء العذب، والله تعالى هو الذي خلقه، وأنزله من السماء، وجعله أصلاً للحياة وللأحياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: 30]؛ ولو شاء سبحانه لذهب بالماء، أو لو شاء لجعله أجاجاً لا يصلح للشرب، أو أصبح غوراً نافذاً؛ ولا أحد إلا الله تعالى ﴿يَأْتِيَكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾، ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾، ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾... والماء من أظهر نعم الله تعالى للعباد، ذلك أنهم لا يصبرون عليه ولا حياة لهم بدونه.

❖ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: فكيف تكفرون بالله تعالى وأنتم رهائن جميع هذه النعم، من استقرار الأرض بكم، وتذليلها لحياتكم، وملاءمتها لمماتكم، ومن الجبال التي تثبت أرضكم، ويأتيكم منها خيرٌ كثير، وهي خزان للماء؛ ومن الماء الذي تشربون فينفعكم به سبحانه؛ إذن ويل يومئذ ثم ويل، للمكذبين بعد كل هذا.



التشغيل والتفعيل

يبدو لأول وهلة أن تعريف الجبل سهل، وأن كل ما ارتفع فوق الأرض المسطحة فهو جبل، والحال أن هذا من الأخطاء؛ ذلك أن ثمة هضاب، وتلال، وسهول، ثم جبال؛ ويذكر بعض العلماء أن من شروط اعتبار المرتفع جبلا كونها فوق الأرض بألف قدم أو أكثر، والموسوعة البريطانية مثلا تعدُّ المرتفع جبلا إذا كان أكبر من 610 مترا؛ ويبقى الارتفاع، والحجم، والكثافة، والوعورة، هي المعايير لتسمية الجبل؛ وليس المصطلح من البداهة التي يتصورها الناس. و«علم الجبال» فرع من علم تشكيل الأرض، وهو يدرس هذه المسائل.

ولعلَّ كون الجبال أوتادا، كما في القرآن الكريم، يضع الفرق بين مرتفع ليس بوتد، ومرتفع ضارب جذوره على الأرض، وهو وتدُّ لها.

على الإنسان تعلُّم التواضع من الجبال؛ فإنَّ الواحد منَّا لن يبلغ «الجبال طولاً» ولا ارتفاعاً، ولا جثامةً، ولا صلابةً، ولا عمراً، ولا نفعاً، ولا تحمُّلاً... وهي مع ذلك خشعت لله تعالى، وأشفتت من الأمانة التي لم يشفق منها الإنسان، وتصدّعت وهبطت من خشية الله الجليل؛ فأين نحن منها؟

• من الفكر إلى الفعل

- في حكم «من ينش القبور» ذكر الرازي أن القفال نقل عن ربيعة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾: «دلَّت الآية على أن الأرض كفات الميت، فتكون حرزا له؛ والسارق من الحرز يجب عليه القطع» فالنباش تقطع يدها ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.
- رياضة تسلق الجبل، بعيدا عن المخاطر المرتفعة، من الرياضات الأكثر نفعا، وقد أمرنا الله تعالى بأن ننظر إلى الجبال كيف نُصبت، فتكون ممارستها عبادة وطاعة وصحة؛ فعلى مدارسنا أن تنظر فيها بعين الاهتمام، وتبرمجها للتلاميذ، فتخرج من كلاسيكية الرياضات الكروية.
- للقراءة: «كتاب الجبال والأمكنة والمياه» للزمخشري؛ «أنماط البيئات» جمال حمدان.



قال الله تعالى:

انظِرُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انظِرُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ رِجَالِ قَصْرِ
﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

بذور المعنى

﴿انظِرُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: حين يؤذَن بإلقاء الكفار في جهنم يقال لهم يومئذٍ: ﴿انظِرُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾؛ والشيء الذي كانوا به يكذبون هو هذا المصير، وهذا العذاب الأليم الذي وعدهم الله به في الدنيا حين نزول القرآن. أمَّا الذي يقول لهم ﴿انظِرُوا﴾ فهو الله تعالى بدليل ما بعده: ﴿فَإِنَّ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾، أو هم الملائكة يقولونه بأمر من الله سبحانه.

﴿انظِرُوا﴾: انطلق فلانٌ: اندفع وانتقل من مكانٍ إلى مكانٍ مسرعاً، وانطلق العداء هبَّ مُسرعاً.

﴿انظِرُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: أعيد فعل ﴿انظِرُوا﴾

للتوبيخ والإهانة والدفع، وقد يكون على الابتداء، أي تقول لهم الملائكة ائتمارا بأمر الله تعالى: ﴿انظِرُّوا إِلَىٰ ظِلٍّ...﴾.

❖ وما كانوا به يكذبون هو جهنم ذات ظل؛ والظل هنا دخان جهنم لكثافته، وعبر عنه بالظل تهكُّمًا بهم ومزيد عذاب؛ فإنهم يتشوقون إلى ظل يأوون إليه ويحتمون به، فلا يجدون.

❖ أمّا «الشُّعَب» فهي الطوائف جمع شعبة، أي هذا الظل يتشكل ثلاثة أنواع وطوائف حسب مرحلة الاشتعال في النار.

❖ ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾: أي هذا الظل الذي أمرتم أن تنطلقوا إليه ليكون مأواكم، لا ظليل هو، ولا ظل فيه على الحقيقة، وليس قويّ الظل؛ وهو لا يمنع من الحرّ ومن الأذى ولا يستر من الحرارة؛ اشتق له وصف من اسمه للدلالة على كماله، كما يقال: ليل أليل. وفي التنزيل قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: -42]. (43).

❖ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ أي لا يبعد من اللهب ولا يحمي منه في شيء، ولا روح فيه يلجأ إليه الكافر المكذب. ومن معاني اللهب العطش، فهو ظل لا يمنع من العطش إضافة إلى أنه لا يقي من الاحتراق.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾: هذه النار التي أمرتم أن تنطلقوا إليها وصفها أنها لشدة اشتعالها ترمي إلى السماء شررا وقطعا مشتعلة يدفعها اللهب في الهواء؛ والقصر بناء شامخ؛ لعل كل شررة أو الشكل العام للشرر المترامي يظهر على صورة قصر كبير عظيم.

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن القصر فقال: «خشبٌ كنا ندخره للشتاء ثلاث أذرع، وفوق ذلك، ودون ذلك كنا نسقيه القصر» أي إن شرر هذه النار في هذا الحجم، أو بهذا الشكل.

﴿كَأَنَّهُ وَجَمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾: وشبه آخر لهذا الشرر المترامي أنه في لونه كالجمال الصُفر، أو هو في تفرُّقه كذلك، وفي حركته. والتشبيه مركَّب: كالقصر، وكالجمالات؛ لعلَّ يدل أنه يتشكَّل أشكالاً كثيرة، يراها الرائي من بعيد، ويفسرها كيف يشاء قد تكون على شاكلة قصر، أو جمال، أو غيرها من الأشكال؛ وهذا معروف حتى في اللهب المتطاير من نار الدنيا، أنه يتشكل، ويشكَّل لوحات مختلفة يفسرها الرائي حسب رؤيته.

قيل هي مراحل: فحين ينفصل عن النار يكون كالقصر عِظماً، وحين يرتفع وينشَقُّ عن أعداد كثيرة يكون كالجمال في الحركة والكثرة، وفي اللون وهو الصفرة المائلة إلى السواد.

- ❖ والله أعلم بالمراد، وهي آية وقع الكثير من الاختلاف في فهمها وتفسيرها.
- ❖ ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: يقال يومها، وقد قيل اليوم، وحقيقة الأمر أن الويل والشور حاق بالمكذبين؛ وهم حين يحلُّ بهم العذاب، ويوم يؤمرون بالانطلاق إلى ﴿بِمَا كَانُوا يُكذِّبُونَ﴾ يعرفون ما اقترفوا من إثم ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾، وحينها ولات حين مندم.



التشغيل والتفعيل

- ❖ قال الفراء: «يقال إنه يخرج لسان من النار، فيحيط بهم كالسرادق، ثم يتشعب منه ثلاث شعب من دخان فيظلمهم، حتى يفرغ من حسابهم إلى النار».
- ❖ النار في الديانة الهندوسية عنصر من العناصر المقدسة؛ وألَّهت الديانة الزرادشتية النار فعبدتها وعبدت الشمس؛ وفي اليهودية للنار رمز خاص في شموع الأعياد، والنار في المسيحية رمز للروح القدس.
- ❖ يوجد تخصص علمي يسمَّى «علوم النار»، وتمنح فيه شهادات جامعية: وهو علم يُعنى بكل ما يدخل في النار من حيث تركيبها، ومن حيث تطبيق ميكانيكا الموائع عليها، والنار وعلاقتها بالغابات، وكل ما يخص حرفة التأمين من النار، قبل الوقوع حين هندسة التأمين، أو بعدها مع وسائل

وتكنولوجيايات الإطفاء...

❏ الأسئلة المحيرة للعلماء من مختلف التخصصات حول النار: لماذا تحرقنا النار؟ وكيف تفعل ذلك؟ هل كل النيران تحرق؟ وهل كل المواد قابلة للاحتراق؟ وفي أي ظروف؟ وما هي الحروق التي تكون بصيغ أخرى غير النار، مثل الحروق الباردة؟



• من الفكر إلى الفعل

• النار نعمة من نعم الله تعالى، ولولاها لكانت حياة الناس شاقة، ولما أمكنهم إذابة كثير من المعادن، ولا تسخين مآكلهم ومشاربهم ومنازلهم... والله تعالى جعلها كذلك تذكرة ومتاعاً لنا؛ وأمرنا أن نستجير بالله من نار جهنم.

• قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»

• للقراءة: «معاني القرآن» لأبي زكرياء يحيى الفراء.



قال الله تعالى:

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾

بذور المعنى

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾: الإشارةُ إلى يوم الفصل؛ حيث لا يؤذَنُ للناس في المحشر أن ينطقوا ولا أن يعتذروا؛ وإنما يكون لهم حواسٌ وأمورٌ أخرى شاهدةٌ لهم أو عليهم؛ ولا ينافي هذا نطقهم في مواقف أخرى مذكورة في القرآن، ومنع النطق عنهم في هذه الآية وفي غيرها؛ لأنَّ يوم القيامة يومٌ عظيمٌ طويلٌ مختلفٌ؛ فيه مواقف يسمح للناس بالكلام، وأخرى لا يسمح لهم: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65]. ثم إنَّ نطقهم وكلامهم في هذا لا يعتبر ولا قيمة له.

كذلك لا ينطقون يوم يقال لهم: (انطلقوا إلى جهنم) من شدَّة الدهش؛ ثم يؤذَنُ لهم فينطقوا بمعاني الحسرة وهم

فيها يعذبون.

❖ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾: لا يُسمح لهؤلاء الكفار بالاعتذار عمّا بدر منهم؛ وبخاصّة المكذّبين الذين زالت عنهم كلّ حجّة، ولا حجّة لهم يوم القيامة؛ ويوم اللقاء يقال لهم أمّام الأَشهاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحریم: 7].

❖ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: في هذا اليوم الذي تزول عنهم الحجّة، ويخرسون عن الاعتذار، ولا يؤذن لهم به؛ في هذا اليوم، وعن هذا اليوم نتلو في كتاب الله تعالى معاني الويل والشبور والهلاك للذين كفروا وكذبوا: ويل لهم، ثم ويل لهم.



التشغيل والتفعيل

❖ كلُّ ما كان اختياريا في الدنيا يصير قهريا يوم القيامة؛ وكلُّ ما كان مأجورا عليه صاحبه في الدنيا ينتفي الأجر عنه في الآخرة؛ ومن ذلك: السجود، والخشوع، والسعي، والخضوع لله، والذكرى... الخ.

❖ من حديث عطية بن بشر رواه ابن بابويه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة لا عذر لهم يوم القيامة، وأربعة ليست غيبتهم بغيبة؛ فأما الذين لا عذر لهم: فرجلٌ محارب في بلاده لا يعطي بوجهه شيئا عليه، لا عذر له حتى يخرج منها

فبهاجر فف أروض الله ففلمتمس ما ففقضف ببه ففنه؛ ورجل له زوجة ففخونه فف فرجها، لا عذر له فف ففطلقها، لا ففشرك فف الولد فففره؛ ورجل له مملوك سوء فهو فعذببه، لا عذر له فف ففببعه، ففما أن ففببع ففما أن فعفق، ولا فعذب بعذاب الله؛ ورجلان اصطحبا فف سفر فهما ففتلاعنان، لا عذر لهما فف فففرقا. واما الففزن لفسف ففببفهم ببفبة: فالامام الكذاب، فف احسنت لم ففشكر فف اساءت لم ففغفر، والفاسق المعلن بفسقه، والمففكهون بالامهات، والفارح من الجماعة، والطاقن ففبهم شاهرا سففه على امفمف».



• من الفكر إلى الفعل

• قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه».

• قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا، يهوي بها سبعين خريفا في النار»

• قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ هذه الآية هي جماع الخير كله، فساد القول سبب لصلاح العمل، ومدعاة لمغفرة الذنوب، ولنيل رضا الله تعالى.

• للقراءة: «الكلم الطيب» لأحمد ابن تيمية.



قال الله تعالى:

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ
فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

بذور المعنى

- ❖ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾: لَمَّا قِيلَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ شُرِعَ فِي تَحْدِيدِ مَعَالِمِهِ، وَبِخَاصَّةِ مَا يُصِيبُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ؛ جَاءَ هُنَا لِلتَّذْكَيرِ بِأَنَّ مَا نَحْنُ بِصَدَدِ التَّحْذِيرِ مِنْهُ، هُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؛ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ مِمَّا يَسْمَعُهُ الْكُفَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ❖ وَيَوْمُ الْفَصْلِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَمَيِّزُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ؛ فَيُعْرَفُ مَصِيرُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ؛ وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَا مَرَّ مِنْ آيَاتٍ فِيهِ بَيَانُ مَصِيرِ الْكَافِرِ، وَالآيَاتُ الْمَوَالِيَةِ فِيهَا تَفْصِيلٌ لِمَصِيرِ الْمُؤْمِنِ.
- ❖ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾: هُوَ تَحَدُّدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْكَفَّارِ

المكذّبين؛ بأن قال لهم: إن كان لكم كيدٌ وحيلةٌ تدفعون بها عذابي فافعلوا؛ ولقد كنتم في الدنيا تكيدون وتحتالون لتتنصّلوا من أمري وحكمي، ويشتدُّ كيدكم في مواجهة الحقِّ وأهله، والنيل من الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: 15-16] وقال: ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: 42].

❖ الكيد غالبًا هو فعلٌ الضعيف للقوي، وهو: إرادة الإضرار بالغير خفيةً، وهو الحيلة السيئة. وكيد الله تعالى للكفار هو من قبيل المشاكلة، مثل المكر في حقّه تعالى، والله تعالى منزّه عن كلّ نقص وضعف، فالكيد في حقّه هو: التدبير بالحق مجازاة أعمال الخلق الخبيثة؛ لأنَّ الله تعالى قويٌّ عزيزٌ، يعذب من يشاء كيف يشاء، ولا مانع لحكمه، فلا يكيد بما هو معهود من معنى الكيد عند البشر.

❖ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: حين تفقدون كلّ حجّة، وتفقدون كلّ قوّة للكيد، حينها تتيقنون أنّ الويل قد حاقّ بالمكذّبين، وأنكم أيها المكذّبون قد نزلتم منزلكم الموعود من هلاك وعذاب أليم، خالدين فيه أبداً.



التشغيل والتفعيل

❖ كاد المشركون لرسول الله ﷺ كيدا عظيماً، ومكروا به مكراً

كبيرا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: 30] أي ليحبسوك كما فعلوا بك في شعاب مكة، أو يقتلوك إعدامًا وقد حاولوا فخابوا، أو يطردوك من بلدك ويخرجوك من مكة وقد تجرؤوا على ذلك؛ فقال تعالى عنهم: ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، فكان كيد الله تعالى أعظم من كيدهم؛ ثم يوم القيامة يتحداهم بما فعلوا في الدنيا: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون﴾.



• من الفكر إلى الفعل

• من أراد أن يكيد الله تعالى له من أعدائه فليتق الله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، أي ألهمناه الحيلة المحكمة في شأن أخيه، وأسند الكيد إلى الله لأنه مُلهمه، فهو مسببه، والكيد لأجل يوسف لا ضده.

• عند الحساب يفصل في كل صغيرة وكبيرة؛ وإنه ليفصل بين الحيوانات، فيأخذ الحيوان الذي اعتدي عليه حقه من المعتدي؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَاد للشاة الجَلْحَاء من الشاة القَرْنَاء»؛ والفصل بين عباد الله تعالى المكلفين من باب أولى.

• للقراءة: «التحفة السنية لمعرفة معاني الحروف النحوية» القاضي عبد الرحمن أبو طالب؛ و«معجم حروف المعاني» محمد حسن شريف.



قال الله تعالى:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿٤٤﴾ وَيُلَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

بدور المعنى

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾: ثمرة الفصل أن يمتاز المجرمون المكذبون، ويُعرف المؤمنون المصدقون؛ ويكون مآل المتقين لله تعالى في الدنيا، أنهم يتفيؤون ظلال الجنة، عكس الكفار الذين يقال لهم: ﴿انظِلُّوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَأَظْلِيلٍ﴾. ثم هم يسقون من عيون الجنة ماءً شراباً طهوراً، وعيون الجنة كثيرة ومختلفة الأذواق لا حدَّ لها ولا حصر.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: ومع الماء الزلال يطعمون فواكه، لا تقارَن بفواكه الدنيا إلا في الاسم، إذ لا ضرر من الإكثار منها، ولا تملُّ، وتتنوع مذاقاتها وطعمها كما يشتهي الواحد

منهم، وهي قطوف دانية قريبة.

❖ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ويقال لهم يومها؛ **إِنَّمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَهُمْ، أَوْ الْمَلَائِكَةُ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾،** ولقد قيل للكفار قبلهم: ﴿انظِرُّوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ...﴾ شتان بين أمر وأمر، وبين حكم وحكم، وبين مصير ومصير.

❖ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: وهذا وعد من الله تعالى أنه سيجزي المحسنين، وها قد تحقَّق وعده: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، والله تعالى ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93] ومن أحبه الله تعالى أسعده، ورزقه رضاه والجنة فكان من الناجين. وفي آية: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 85]. والله سبحانه وتعالى من نعمته أنه ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: 120].

❖ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: من شدة عذاب المكذبين والويل الذي لحقهم أن يكون في الجهة الأخرى من كان منهم، وبينهم، بل من كان مهانا محترقا عندهم في الدنيا، أن يكون هؤلاء في نعيم مقيم، وفي جنة خالدين فيها أبدا، يوم الجزاء والحساب؛ فهذا العذاب أشدُّ من العذاب الجسديِّ وحده، إنه عذاب روحيٌّ معنويٌّ أليم: فويل لهم لو كانوا يعلمون.



❖ وردت صيغة «كذلك» في القرآن الكريم مائة وستة وعشرين مرة، وهي تفيد: التشبيه، والتحقيق، والتثبيت والتوكيد، والتعظيم والتهويل، والاستمرار؛ فالسياق هو المحدد للمعنى المراد. ومن المعاني البانية أن كذلك تؤدي معنى «الوعيد والتهديد» في مثل: ﴿كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾، و«الوعد والتبشير» في مثل: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

❖ في السورة تقابل بين حال الكفار وحال المؤمنين في قوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾؛ وتقابل بين: ﴿كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾، و﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ وتقابل بين: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ﴾.



• من الفكر إلى الفعل

• من أعظم المعاصي المحبطة للعمل ما يعرف بالتألي على الله؛ فقد روى جندب أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال: «والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألي عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك».

• قال: «استقيموا ولن تحصوا. واعملوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» قال ابن عبد البر شارحاً الحديث: «والذي عندي في تأويل هذا الحديث أن قوله: «استقيموا»، يعني على الطريقة النهجة التي نهجت لكم، وسددوا وقاربوا؛ فإنكم لن تطيقوا الإحاطة في أعمال البر كلّها، ولا بد للمخلوقين من ملال وتقصير في الأعمال. فإن قاربتم ورفقتم بأنفسكم كنتم أجدر أن تبلغوا ما يراد منكم» للقراءة: «الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار» لابن عبد البر.



قال الله تعالى:

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

بذور المعنى

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾: هو نفس النداء أن يأكلوا ويتمتعوا، أمَّا للمتقين المحسنين فإنه نداء يوم القيامة، وهو نداء أثره ممتدُّ أبداً؛ وأمَّا للمجرمين فيقال لهم في الدنيا: كلوا وتمتعوا؛ لكن اعلّموا أنّ هذا مهما بدا كثيرا فهو قليلٌ، ومهما طال أمده فإنه إلى زوال بعد حين؛ فقليلًا معناها: تمتعوا قليلا، أو زمانا قليلا؛ أو المراد جميعها وكلّ صيغة من صيغ القلّة. وإنما خوطبوا بما يفهمون من أنّ الحياة إنما هي أكل وتمتع.

﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾: تعليل لما سبق؛ إن قيل: لمَ هذا المصير الأليم؟ كان الجواب: لأنكم كنتم مجرمين، والجرم هو الجناية والذنب العظيم، الذي يستحقُّ عليه مرتكبه عقاباً شديداً: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: 124]، ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

❑ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: أمَّا يوم القيامة فويل لكم ثم ويل،
وقد كنتم مجرمين، مكذِّبين بالحقِّ والوحي. فويل لمن لم
يقارن بين مصير هؤلاء وأولئك من عذاب أليمٍ محتوم، لا
فكاك له منه ولا مناص.



التشغيل والتفعيل

❑ الاستهلاك المفرط للمشروبات الكحولية يكبّد الاقتصاد
الأمريكي ما قيمته 250 مليار دولار سنويا، وهو ما يعادل
2.05 دولار لكل مرّة يتناول فيها الشخص الخمر؛ وأوضحت
ذات الدراسة الصادرة عن «مركز السيطرة على الأمراض
والوقاية منها» أنّ حالات الوفيات الناجمة عن الاستخدام
المفرط للخمور قد شهدت ارتفاعا كبيرا، مسجلة 88 ألف
حالة في المتوسط سنويا في عموم الولايات المتحدة.



•• من الفكر إلى الفعل

•• وجب على المسلم أن ينأى بنفسه عن كل ما حرّم الله تعالى عليه من طعام وشراب ولباس؛ لأن الحرام يودي صاحبه موارد الهلاك، قال النبي ﷺ: «لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به».

•• قال بعض السلف: «لا يكون الرجل تقيًا حتى يعلم من أين ملبسه، ومطعمه، ومشربه» ويقاس كلّ ما يؤثث حياته من مسكن، ومركب...



قال الله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

بذور المعنى

❖ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾: إمَّا أن يكون الأمر بالركوع كنايةً عن الصلاة، فهم لا يصلُّون؛ أو المراد بالركوع التواضع والخضوع والخشوع لله تعالى، أي أمرُوا أن لا يتكبروا على الخلق ولا على الخالق؛ أو المراد أن الأمر يكون يوم القيامة بأن يركعوا لكنهم لا يستطيعون، وقد كانوا سالمين في الدنيا فلم يركعوا، على شاكلة: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: 42-43].

❖ ﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: وهم الذي كذبوا بقلوبهم وبألسنتهم، ثم بجوارحهم؛ فلم يصلُّوا: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 43]، ولم يأمرُوا بصدقة ولا معروف ولا

بَرٌّ: ﴿وَلَمْ نَكُ نُظْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾ [المذثر: 44]؛ فهم قد عاشوا بهائم ترعى، تأكل وتتنعم، وتعتقد أن الموت هو آخر رفق منهم، وبعده يكونون هباءً؛ والحقُّ أنه سيأتي الوقت الذي يحاسبون فيه عن كلِّ ما يفعلون، في هذا اليوم يقال لهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ كما في سورة المطففين.

❖ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: إذا لم يؤمنوا بالقرآن الكريم، ولم يعتبروا بما فيه من حقٍّ، ولم يصدِّقوا بما جاء فيه من وعدٍ ووعدٍ؛ بأيِّ حديثٍ وبأيِّ كلامٍ بعد القرآن يؤمنون؟

❖ وفي القرآن من الحججة والبرهان الساطع على وحدانية الله تعالى، وعلى أن القيامة قائمة وأنها حقٌّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها؛ ما لو تأملوه وتواضعوا له لكانت نجاتهم محققة، ولكن هيهات؛ وفي ذلك تئيس منهم ولهم، حتى إنه لا يلتفت إليهم، إذ لا ينفعهم الخطاب، ولذا كان الكلام عنهم بأسلوب الغائب، وإنما يوجَّه الكلام لمن يسمع ويعقل ويعتبر: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.



التشغيل والتفعيل

❖ البعدية في الآية: «بعده» للتفاوت في الرتبة، وليست زمنية، كما في قوله تعالى: ﴿عُتِّلَّم بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمًا﴾ [القم: 13]؛ وذلك للتنبيه أنه لا حديث يساوي القرآن الكريم في الفضل، أو

يدانيه، أو يفوته ويعلو عليه؛ فلا حديث إذن أحق بالإيمان منه، وإذ لم يؤمنوا به فلا إيمان لهم.

❖ وفي كتاب مفهوم الزمن: «قبل وبعد، والفاء وثم: هي وحدات تفيد تتالي الحوادث التاريخية، ويجمع بينها أنها غير محدّدة المقدار أساساً، وإنما السياق هو المحدّد لمقدارها، وقد وردت بكثرة في القرآن الكريم. فلا يقال في القرآن: حدث هذا في سنة كذا، وحدث هذا بعده في سنة كذا، أو بعد كذا سنةٍ وقع هذا... مما يستعمل في ترتيب الحوادث التاريخية في علم التاريخ، وإنما يكتفى بترتيبها حسب اقتضاء حاجة الفهم، إذ المقصد ليس هو سرد الحادثة، وإنما العبرة من تلك الحادثة».



• من الفكر إلى الفعل

• قال وفد ثقيف لرسول الله ﷺ: «نؤمن على أن تحطّ عنا الصلاة؛ فإنّ ذلك الانحناء الذي في الصلاة مسبّة علينا» فقال ﷺ: «لا خير في دينٍ ليس فيه ركوع وسجود».

• قال السيوطي في الإتقان: «وإنّ كتابنا القرآن لهو مفجّر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هديٍّ وغيٍّ. فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد».

• قال سهل التستري: «لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه» صدق الله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

• للقراءة: «تفسير القرآن العظيم» سهل التستري؛ «مفهوم الزمن في القرآن الكريم» مبحث التاريخ في القرآن الكريم، محمد باباعمي.



فهرس الآيات

- 15 تفسير سورة القيامة
- 17 ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾
- 22 ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ...﴾
- 25 ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ...﴾
- 30 ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ...﴾
- 34 ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ...﴾
- 38 ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ...﴾
- 41 ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ...﴾
- 45 ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ...﴾
- 49 ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى...﴾
- 53 ﴿أَيْحِسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى...﴾
- 59 تفسير سورة الإنسان
- 60 ﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾

- 65 ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ...﴾
- 70 ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ...﴾
- 75 ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ...﴾
- 79 ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا...﴾
- 83 ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا...﴾
- 87 ﴿وَيَطَّافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَائِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ...﴾
- 92 ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ...﴾
- 96 ﴿عَالِيهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ...﴾
- 101 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا...﴾
- 106 ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ...﴾
- 110 ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا...﴾
- 115 **تفسير سورة المرسلات**
- 117 ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا...﴾
- 123 ﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ...﴾
- 128 ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ...﴾
- 132 ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ...﴾

- 137 ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا...﴾
- 141 ﴿انظُرُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ ۚ تُكَذِّبُونَ...﴾
- 147 ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ...﴾
- 151 ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ...﴾
- 155 ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ...﴾
- 159 ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا...﴾
- 162 ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ...﴾
- 166 فهرس الآيات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَجْوِيدٌ